مخصوص کارڈ

مصنف :- عبدالفتاح (محمد)-

عنوان :-

ترتیب :-

عربی ادب - تنقید و تاریخ۔

۷

المختارات الادبية

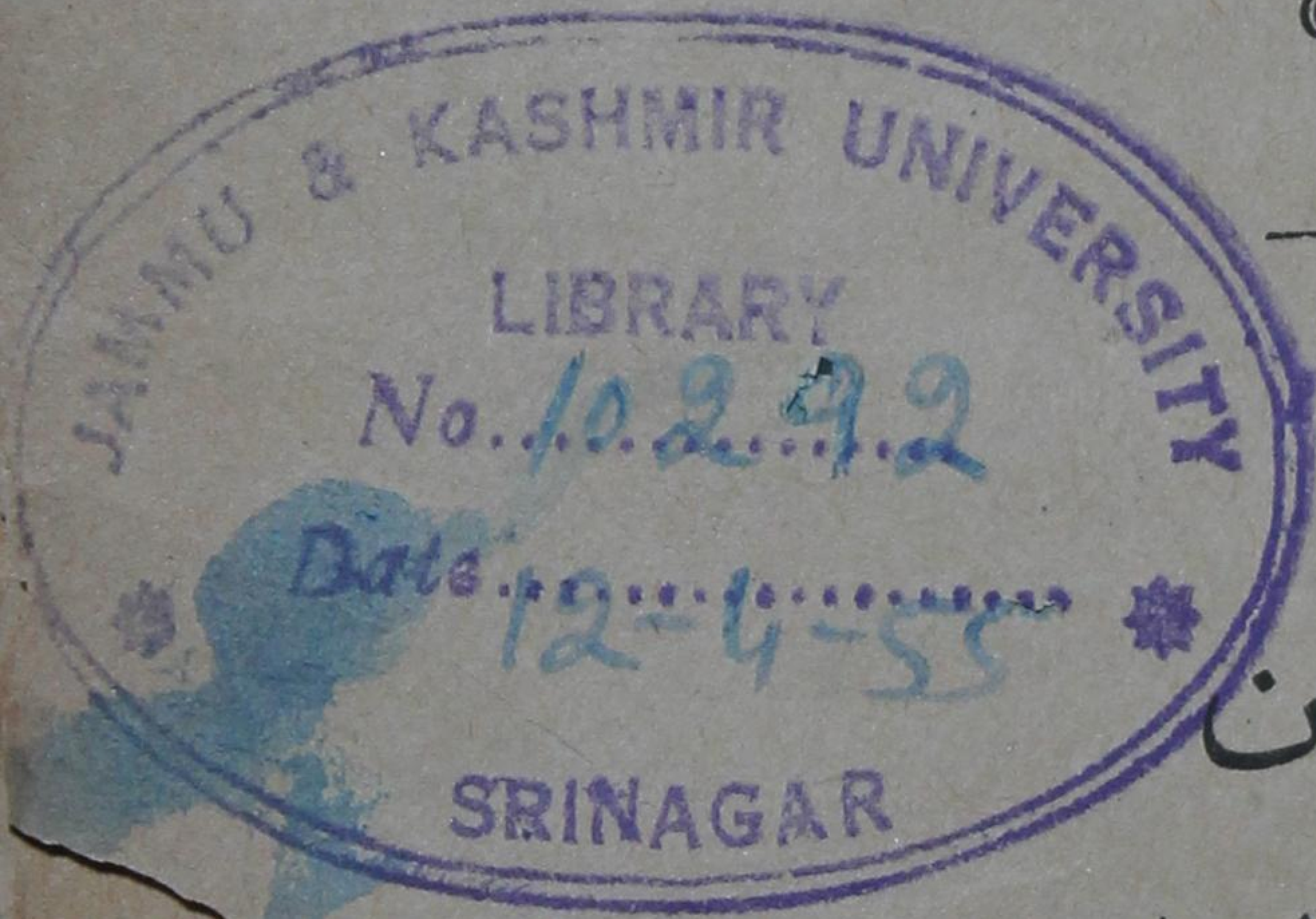
«عنى بجمعها»



محمد عبد الفتاح

«الطبعة الاولى»

التزام



حسين حسنين

صاحب المكتبة المصرية بشارع العشماوى بمصر

...هو

...ى المشوبات...

مطبعة السعادة بجوار ... سمى احد أصحاب المعلقات

باب الادب والحكمة

قسم المنظوم

الكرم

« لحاتم الطائى » (١)

أماوىّ أن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى انى لا أقول لسائل
اذا جاء يوماً حل فى مالنا النذر
أماوى إما مانع فمبين
واما عطاء لا ينهنهه الزجر

---

(١) « حاتم الطائي »

...هو أحد شعراء الجاهلية المجيدين واكثر... ...ى المشوبات...
...لق العظيم خلق الجود والاحسان... ...سمى احد أصحاب المعلقات

أماوى أن يصبح صداى بقفرة

من الارض لا ماء لدى ولا خمر

ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى

وان يدى ممـا بخلت به صفر

﴿ الايثار ﴾

« لحاتم الطائى أيضاً »

وما أنا بالساعى بفضل زمامها

لتشرب ماء الحوض قبل الركائب

وما أنا بالطاوى حقيبة رحلهـا

لأبعثها خفا (١) وأترك صاحبى

اذا كنت رباً للقلوص فلا تدع

رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فان حملتكما

فذاك وان كان العقاب (٢) فعاقب

... فى سفره خفا اذا قل ثقله (٢) يقا...

... ركب هو مرة وركب الآخر أخرى

﴿ ذم الغيبة ﴾

« لـكعب بن زهير » (١)

مقالة السوء الى أهلها ... أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه ... ذموه بالحق و بالباطل

﴿ ذم الغيرة ﴾

« لبعض الشعراء المتقدمين »

ما أحسن الغيرة فى حينها ... وأقبح الغيرة فى كل حين
من لم يزل متهماً عرسه ... مناصباً فيها لريب الظنون
أوشك أن يغريها بالذى
يخاف أن يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها وضعها
منك الى عرض صحيح ودين

---

(١) « كعب بن زهير »

هو أحد الشعراء المخضرمين وصاحب اللامية المشهورة التى مدح بها النبي صل الله عليه وسلم وهى احدى المشوبات وقد ورث الشعر عن ابيه زهير بن ابى سلمى احد أصحاب المعلقات

لا تطلع منك على ريبة   فيتبع المقرون حبل القرين (١)

﴿ فضل الاناة ﴾

« للقطامى » (٢)

ليس الجديد مقيما فى بشاشته   الا قليلا ولا ذو خلة يصل

والعيش لاعيش الا ما تقر به   عين ولا حال الا سوف تنتقل

والناس من يلق خيراً قائلون به   مايشتهى ولأم المخطىء الهبل (٣)

---

(١) * جمعت هذه الابيات القليلة جميع ما تفرق فى كتابات الكتاب الاجتماعيين الذين ينشئون المقالات ويدونون الكتب فى هذا المعنى الصغير وهو ان السبيل الوحيد الى عفة المرأة واستقامتها عفة زوجها واستقامته وان سوء الظن بها أكبر باعث لها على الوقوع فيما اتهمت به

(٢) « القطامى »

هو عمرو بن تيم التغلبى كان نصرانياً معاصراً للاخطل وله شعر يعد من الطبقة الاولى وهو أحد أصحاب المشوبات ومشوبته مطلعها

انا محيوك فاسلم ايها الطلل   وان بليت وان طالت بك الطول

(٣) * يتضمن هذا البيت أصدق حقيقة من حقائق ...

يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

﴿ السعادة ﴾

« لبعض الشعراء المتقدمين »

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى   ولكن أحاظ قسمت وجدود
اذا المرء أعيته المروءة ناشئاً   فمطلبها كهلا عليه شديد(١)
وكائن رأينا من غنى مذمم   وصعلوك قوم مات وهو حميد
وان امرءاً يمسى ويصبح سالما   من الناس الا ماجني لسعيد

﴿ كرم الضيافة ﴾

« لبعض الشعراء المتقدمين »

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله   ويخصب عندى والمحل جديب

الاجتماع وهي ان الناس يجرون فى الحكم على الرجال على أحكام المصادفات والاتفاقات فمن ساعده الحظ فنجح فهو عندهم أعقل الناس وان كان أجهلهم ومن هفا فى حياته هفوة فخاب فى عمله فهو عندهم أجهل الناس وان كان أعقلهم

(١) يشير في هذا البيت الي قاعدة من قواعد التربية وهى ان التربية على الاخلاق الكريمة ان لم تكن في زمن الصغر فقلما تفيد بعد ذلك

وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

﴿ التجلد ﴾

« لبعض الشعراء المتقدمين »

قد عشت فى الناس أطواراً على طرق

شتي وقاسيت فيها اللين والفظعا

لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه

ولا أضيق به ذرعاً اذا وقعا

﴿ القناعة ﴾

« للعتابى » (١)

تلوم على ترك الغنى باهلية

زوى (٢) الفقر عنها كل طرف وتالد

---

(١) « العتابى »

هو كلثوم بن عمر واحد مشهورى الشعراء فى عصر الرشيد العباسى واولاده وشعره لا يرتقى الى الجيد ولا ينحط الى الردئ

(٢) زوى الشئ عنه نحاه وصرفه

رأت حولها النسوان يرفلن فى الثرى
مقلدة أعناقهـــا بالقلائد
أسرك انى نلت ما نال جعفر
من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى (١)
مغصهما بالمرهفـــات البوارد
دعينى تجئنى ميتتى مطمئنة
ولم أتجشم هول تلك الموارد
رأيت رفيعات الامور مشوبة
بمستودعات فى بطون الاساود (٢)

﴿ مكارم الاخلاق ﴾

« لبعض الشعراء المتقدمين »

يعاتبني فى الدين قومى وانما ديونى فى اشياء تكسبهم حمداً
أسد به ما قد اخلوا وضيعوا
ثغور حقوق ما اطاقوا لها سدا

---

(١) أغصه بكذا جعله يغص به (٢) الاساود نوع من الحيات

وفى جفنة مايغلق الباب دونها مكللة لحماً مدفقة ثردا (١)

وفى فرس نهد عتيق (٢) جعلته حجاباً لبيتى ثم اخدمته عبدا

وان الذى بينى وبين ابى
وبين بنى عمى لمختلف جدا

فان اكلوا لحمى وفرت لحومهم
وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم
وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا

وان زجروا طيرا بنحس تمر بى
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا (٣)

ولا احمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالى ان تتابع لى غني
وان قل مالى لم اكلفهم رفدا (٤)

---

(١) الجفنة القصعة والثرد جمع ثريد (٢) الفرس النهد القوى والعتيق الكريم (٣) يريد انهم اذا أرادوا به شراً أراد بهم خيراً (٤) الرفد العطاء

واني لعبد الضيف ما دام نازلا

وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

﴿ الصفح والاغضاء ﴾

« للشريف الرضى » (١)

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه (٢)

أبى بعد طول الغمزان يتقوما

تقبلت منه ظاهرا متبلجا وأدمج دونى باطناً متجهماً (٣)

ولو اننى كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

دع المرء مطوياً على ما ذممته

ولا تنشر الداء العضال فتندما

---

(١) « الشريف الرضى »

هو أحد شعراء الطبقة الاولي وله فى شعره مذهب خاص به لم يتبع فيه أحداً قد جمع فيه بين البدواة والحضارة والجلال والجمال وان صح ان له في كتاب نهج البلاغة شيئاً كثيرا كان أكتب الكتاب كما انه اشعر الشعراء (٢) زاغ مال وكعوب الرمح عقدة (٣) تجهمه استقبله بوجه كريه

اذا العضو لم يؤلمك الا قطعته   على مضض لم تبق لحما ولا دما

﴿ ادب الحديث ﴾

« لابى تمام »

من لى بانسان اذا أغضبته
وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا طربت الى المدام شربت من
أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه
وبسمعه ولعله أدرى به (١)

﴿ الرياء ﴾

« لابن الرومى »

أعلمْ بان الناس من طينة
يصدق فى الثلب لها الثالب

---

(١) * في هذا البيت أدب رقيق من آداب العشرة قل من الناس من يستطيع الصبر عليه ولا أعرف فى الرياء نوعا مستحسناً غير هذا النوع

لولا علاج الناس أخلاقهم اذاً لفاح الحمأ اللازب (١)

﴿ العفة ﴾

«لليلى الاخيليه» (٢)

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها

فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه

وأنت لاخرى صاحب وخليل

﴿ القناعة ﴾

«لابن الرومى»

---

(١) الحمأ الطين المنتن واللازب اللاصق المتداخل

(١) «ليلي الاخيلية

لا شك انها والخنساء أشعر الشواعر ولليلى من الشعر فى المديح والغزل ما أشبه شعر الرجال احيانا

(٢) * لا اعرف كناية أفضل من هذه الكناية فى قولها وذى حاجة والبيت الثانى أفضل مقال يؤتى به دليلا على شرف اخلاق المرأة العربية ومعرفتها بالاصل الاول من أصول حقوق الزوجية وانها ان لم تنفر من الفحشاء عفة فانها تجتنبها وفاء

مرحباً بالكفاف يأتى غفيا (١) وعلى المتعبات ذيل العفاء
ضلة لامرئ يسمر فى الجمـ ـع لعيش مشمر للفناء
يحسب الحظ كله فى يديه وهو منه على مدى الجوزاء
ليس فى آجل النعيم له حـ ـظ وما ذاق عاجل النعماء
ذلك الخائب الشقى وان كا ن يرى انه من السعداء
حسب ذى إربة (٢) ورأى جلى نظر عينه بلا غلواء (٣)
صحة الجسم والجوارح والعر ض واحراز مسكة الحوباء (٤)

القناعة

لبعض الشعراء المتقدمين

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه
كأن به عن كل فاحشة وقرا

---

(١) غفيا أى عفواً
(٢) الاربه الدهاء والحيلة
(٣) الغلواء الغلو
(٤) المسكة مايمسك النفس من غذاء وغيره والحوباء النفس

سليم دواعى الصدر لا باسطا اذى

ولا مانعاً خيراً ولا قائلا هجرا

اذا ما أتت من صاحب لك زلة

فكن أنت محتالا لزلته عذرا

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة

فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

حب البنين

لبعض الشعراء المتقدمين

لولا أمية لم أجزع من العدم

ولم أجب فى الليالى حندس الظلم

وزادنى رغبة فى العيش معرفتى

ان اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها

فيهتك الستر عن لحم على وضم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً

والموت اكرم نزال على الحرم

﴿ كتمان السر ﴾

والمسكين الدارمى (١)

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم

على سر بعض غير اني جماعها (٢)

لكل أمرئ شعب من القلب فارغ

وموضع نجوى لا يرام اطلاّعها (٣)

يظلون شتى في البلاد وسرّهم

الى صخرة أعيي الرجال انصداعها

---

(١) مسكين الدارمي المتوفى سنة ٩٠ هجرية

كان شاعراً نخلا مجيداً وكان شريفاً عالي الهمة يتشيع لمعاوية وينصره وهو أول من سهل عليه مفاتحة الناس ببيعة ولده يزيد من بعده إذ قال:

اذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد

(٢) يقال الخمر جماع الاثم لانها جامعة لكل أصنافه

(٣) اطلع الامر علمه

السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

نشأ للعربية فى أوائل هذا القرن كاتب بليغ يصح أن يدعى واضع الانشاء العصرى فى مصر وهو أعظم أدباء البعثة الفكرية الاخيرة وأبلغ من كتب فى العصر الحديث من حيث رشاقة العبارة ورقة التعبير وتصوير الحوادث تصويرا حقيقيا يضرب به المثل في متانة التركيب وحسن اختيار الألفاظ

ولقد امتاز على الخصوص بأنه يصوغ المعنى الدقيق في القالب الرقيق فيظهر أبدع صحيفة من صحف الاحساس وأجل أثر من آثار الشعور الطيب ومما زاد في نبوغه ودل على مقدرته العجيبة أنه عمد الى الافكار فحلها وشرحها واستجلى أدق فناياها والى العواطف فعبر عنها بتعابير لم تتفق لواحد غيره من كتبة هذا العصر . فكل ماتتأثر به النفس وكل ما يخفق له القلب وتهتز له الجوارح وجد له صورا ومعميات تمثله بأجلى بيان للتصور . وبعبارة أصرح فقد أخضع أعنة الالفاظ لعواطفه وتصوراته وأبرزها مخدرات

معان لم يوح بها الا اليه . واذا كان السيد أول من أعاد للعربية رونقها وبهاءها بأساليب جيدة وافكار عصرية فقد جعل لها حياة حية بمؤلفه النظرات وهو عبارة عن سلسلة مقالات فى التربية والاخلاق والشؤون العامة الذى يمر عليها القارئ فيتراوح بين تلاوة الحكم المستعذبة والنثر البديع بحيث يحكم بأن النظرات هى كتاب أدب ومحاضرة كما هى كتاب حكمة وفلسفة ينتقل فيه بين الاستفادة من هذه وتريح النفس بتلك

وعلى الجملة اذا نظرت فيه الى الكاتب رأيته مغيرا نظام الكتابة القديمة وناهجا طريقة جديدة فى الانشاء جرى عليها السواد الاعظم من الكتاب . واذا نظرت الى آرائه رأيت لها قوة تمتلك النفس ولمعانيه تأثيرا لا يبقى ولا يذر . فهو فى مصر كفيكتور هيجو فى فرنسا كلاهما أوجد لبلاده انشاء جديدا وافكارا عصرية

أما اوصافه فقد وضعها حافظ افندى عوض فى مقدمة النظرات أجمل وصف واشار الى ما يعرفه له الناس في باب

العفة والشهامة انه ما أخذ في حياته اجرا على ادبه ولا انتفع من وراء قصائده أو رسائله بدانق ولا سحتوت وكثيرا ما كان يقول له سعد زغلول باشا انى لأرى لك في كتابتك شخصية اتمنى ان اجدها كثيرا في اقلام الكاتبين



كلمات

لحضرة نابغة الكتاب والادباء السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

الادب الكاذب

كنا وكان الأدب حالا قائمة بالنفس تمنع صاحبها ان يقدم على شر أو يحدث نفسه به او يكون عونا لفاعليه عليه فان ساقته اليه شهوة من شهوات النفس او نزوة من نزواتها وجد نفسه عند غشيانه من المضض والارتماض ما ينغص عليه عيشه ويقلق مضجعه ويطيل سهده وألمه فاصبحنا واذا الادب صورة من صور الجوارح وعرض من الاعراض المتعلقة بحركات الانسان وسكناته لا دخل لها في جوهر نفسه ولا علاقة بينه وبين حسه ووجدانه فأكثر الناس عند الناس أدبا وأقومهم خلقا واطهرهم نفسا من لا يفى على شرط ان يعد ومن يكذب على ان يكون كذبه سائغا مهذبا ومن يملأ صدره موجدة وحقدا على ان يكون مبساما ضحوك السن ومن يسرق على ان يعبث بمواد القانون او يخدع القضاة

عنها ومن يبغض الناس جميعاً بلسانه ومن يحفظ تلك المصطلحات اللفظية وتلك الصور الجامدة من الحركات الجسمية التي تواضع عليها الظرفاء في الزيارة والاستزارة والهناء والعزاء والمؤاكلة والمنادمة وأمثال ذلك مما يرجع العلم به غالبا الى صغر النفس واسعافها اكثر مما يرجع الى علوها وكمالها

ذلك هو الأدب الكاذب الذي أصبح في هذا المصر في هذا العصر رأيا عاما يشترك فيه خاصة الناس وعامتهم وعقلاؤهم وجهلاؤهم ويعلمه الوالد لولده والاستاذ لتلميذه ويقتتل عليه الناس قتالا كما يقتتلون على أعز الاشياء وانفسها حتى تبدلت الصور وانعكست الحقائق وأصبح الرجل الصادق الذي لا يعد الا اذا علم من نفسه القدرة على الوفاء ولا يقول بلسانه الا ما يعتقد بقلبه ولا يبش الا في وجه الرجل الشريف ولا يقطب الا في وجه الرجل الساقط حتى لا يكون ظالما للأول ولا غاشا للثاني أحرج الناس بصدقه صدرا وأضلهم به سبيلا لا يعلم أيكذب فيسخط ربه ويرضى

الكاذبين ام يصدق نفسه ويرضى الناس أجمعين ولا يعلم ايهجر هذا العالم الى عزلة موحشة يقضى فيها بقية حياته غريبا منفردا أم يبز للعيون فيموت هما وكمدا

ان كان لهذه الامة ادب فى سعادة الحياة وهنائها فلتعلم أن لا سبيل لها الى ذلك الا اذا أدبت نفسها بأدب غير هذا الادب الكاذب

الانتقاد

بين نقد المؤلفات هنا ونقدها فى اوربا فرقان أحدهما يتعلق بالناقد والآخر يتعلق بأثر النقد في الاذهان . اما الاول فهو أن الناقد هناك ينتقد الكتاب من جيث ذاته وهنا ينتقده باعتبار شخص مؤلفه اى انه لا ينتقد الكتاب بل صاحب الكتاب في كتابه . وأما الثانى وهو اثر طبيعى بالاول فهو ان للانتقاد هناك أثراً ظاهرا في الكتاب من حيث رواجه وكساده وشهرته وخموله فكما يقول المنتقد يقول الناس بقوله وهنا يمر الانتقاد بالاذهان فلا يبقى من آثاره فيها الا أثر واحد وهو ان الكتاب جليل القدر سنى

القيمة ولولا ذلك ما احتفل بأمره محتفل

لذلك رأيت كثيرا من علاء الناس لا يرضون عن أنفسهم الا اذا انتقد الناقدون مؤلفاتهم بل رأيت من يتوسل الى أحد الناقدين أن ينتقد مؤلفه بل رأيت من يبلغ به الامر ان ينتقد كتابه بنفسه بتوقيع منحول

أولئك هم الذين يعرفون قيمة المنتقدين عندنا وأثر انتقاداتهم فى أنفسنا . أما الذين يغضبهم الانتقاد ويحرج صدورهم فهم الذين لا يعرفون من هذا ولا ذاك شيئا

الكتابة والشعر

أنصح للشعراء الذين ليسوا فى الطبقة الاولى من الشعر ولا هم في طريقها أن يعدلوا عنه الى الكتابة لان الكاتب يطرب ان كان أولا ويحسن ان كان ثانيا

أما الشاعر فهو المغنى المطرب الذى يحمل من لسانه ريشة رقيقة يضرب بها على أوتار القلوب فيضحكها ويميتها أو يحييها فهو ان لم يكن في الطبقة الاولى فتوسطه

وتدليه سواء . فان أراد الشعراء ان يعرفوا منزلتهم التى
ينزلونها من درجات الشعر فسبيلهم الى ذلك الذى لا سبيل
غيره أن ينشروا على صفحات الجرائد نفثات أقلامهم
متنكرين ثم يمشوا وراءها متسمعين ليعرفوا ماذا يقول
الادباء عنها . فان بدا لهم ان يعتمدوا على أنفسهم أو على ثناء
السامعين عليهم وابتسامات المبتسمين اليهم فليعلموا ان
المرء مفتون بشعره وأن الشعر هو الفن الوحيد الذى تتسع
فيه المسافة دائما بين عقيدة المرء فى نفسه والواقع من أمره
وانه لا يوجد فى هذا البلد واحد يستطيع ان يقول للمسئ
فى وجهه انك قد أسأت أو انك قليل الاحسان

علاج التعصب الدينى

مرت بى ساعة من ساعات حياتي لا أزال أذكرها
ولا ازال استحى من ذكرها حتى اليوم ابغضت فيها اليسوعي
ليسوعيته والموسوى لموسويته والوثنى لوثنيته ثم الهمنى
الله أن اعود الى نفسى وكنت قد عودتها ان أعود اليها كلما
وقفت فى موقف شبهة او اشرفت على مراق ريبة وقلت

انى ما كنت مسلما لاني استعرضت الاديان جميعها بين يدى وقلبت فيها وجوه الرأى حتى أخذت لنفسى المذهب الذى اتمذهب به ولا لانى قرأت الادلة والبراهين التى يوردها علماء الكلام على صحة قواعد الاسلام وأصوله ثم اتخذتها مقدمة لتلك النتيجة التى أنا عليها اليوم بل لان أبى كان مسلما فأورثنى دينه ولان أهلى كانوا مسلمين فغذوني بتلك القواعد والأصول كلمة كلمة كما غذونى باللبن جرعة جرعة حتي نشأت مسلما بعد التربية والتعهد لا بعد النظر والاستدلال.

أما تلك المعلومات التى خلصت عليها بعد ذلك من النظر فى العلوم الكلامية واستطعت أن أقيم بها البرهان على صحة دين الاسلام وأنه خير الاديان وأقومها طريقا واهداها سبيلا فتلك نتيجة من نتائج التدين لا مقدمة من مقدماته فلو ان الله تعالى كان كتب لابى فى لوح مقاديره أن يكون سبيله غير هذا السبيل وطريقه غير تلك الطريق فما كان لى بد من ان اترسم خطواته واسير على آثاره وأنظر

الى دينى بالعين التى أنظر بها اليوم الى اديان الناس ولم أزل
اردد ذلك الرأى فى نفسى وأتعهده بالنظر فى غدواتى
وروحاتى ومصبحى ومساى حتى اطمأنت نفسى الى القول
بأن الدين تربية وخلق لامذهب واعتقاد وان أدلة الاديان
وبراهينها انما هى آثار تأتى بعدها لا مؤثرات تتقدم عليها .
ولولا ذلك لرأينا كثيرا من ابناء المسلمين مثلا مسيحيين
وأبناء اليهود بوذيين وذلك مالا نراه الا قليلا عند ما يرد
على الغراير الدينية مؤثر من المؤثرات الخارجية كتلك
التى ترد على أصحاب النفوس الضعيفة فتزعزع اخلاقهم من
مواضعها وتتمشى بها فى غير سبيلها فقلت أى مانع يمنعنى
من القول بأن لليسوعى الذى يتمسك بيسوعيته ويشدد فيها
شأنا فى ذلك التمسك مثل شأنى وسبيلا فى هذا التشدد
مثل سبيلى وانه لم يكن مسيحيا لانه غبي او جاهل او
ساقط او سافل أو انه أراد بانتحاله هذا الدين مغايظتى او
معاندتى او الزراية بالدين الذى أدين به ولكنه ولد فى بيئة
غير التى ولدت . ونشأ في أمة غير التى نشأت فكان كما كان

وكنت كما كنت . تجمعنا جامعة الانسانية والتعقل والادراك والفهم ولا يفرقنا ذلك الاختلاف في المذهب الا كما يفرق أحدنا عن صاحبه اختلاف ما بيننا في المطعم والمشرب والملبس والمقام

هنالك اصبحت انسانا غير ذلك الانسان الاول احب الرجل الفاضل ولا أعتقد ان الفضيلة وقف على المسلمين وأبغض الرجل الدنئ ولا أعتقد ان للدناءة صلة بمسيحية المسحيين او موسوية الموسويين : وقلت لو ان الناس جميعا علموا من أمر الاديان ومنشئها مثل ما علمت لما كانت العقائد الدينية وهى الخير المحض شرا علي العباد من الجحود والالحاد



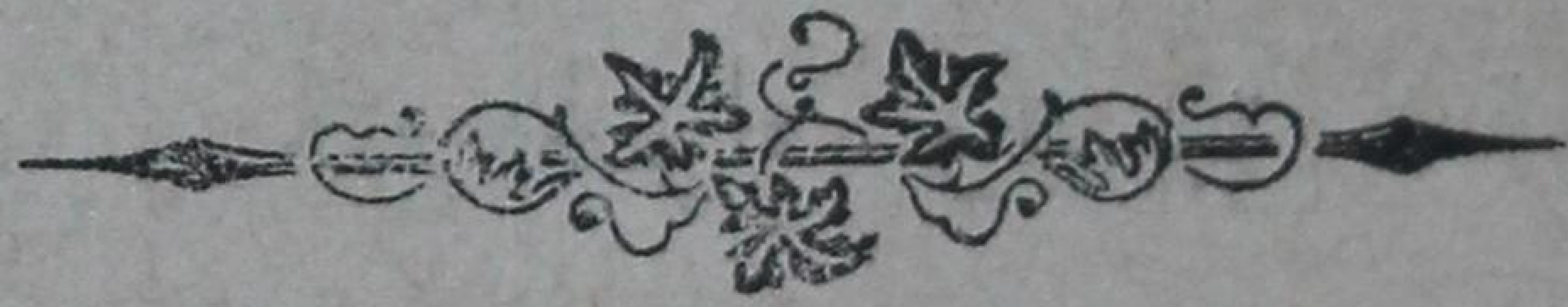
احمد بك لطفى السيد

رجل متشرع خدم النيابة والمحاماة زمنا ثم رأيناه فى محكمة دنشواى مدافعا فرأينا لسانا طلقا فصيح العبارة قوى الحجة طويل الاناة يلقى الكلمة وراء الكلمة كأنه يزنها بميزان الحكمة والعقل . ولم نظن يوم ان أكبرنا دفاعه وأكبرنا مواهبه انه سيصير بعد زمن قصير أكبر الصحافيين شأنا وأوسعهم خبرة ودراية

له كل يوم في صدر الجريدة التى يدير دفتها وتحريرها مقالة اجتماعية سياسية لاتخرج واحدة منها عن البحث فى أحوال الوطن واحوال الامة وكلها بليغة رشقة العبارة مع مؤاخاة الفاظها لمعانيها الجديدة التى يبتكرها . فأما ابتكاره للمعاني فدليل على ان له فكرا يقود الافكار وراءه وذهنا مخصبا تغتذى الاذهان من ثماره فهو الغنى الذى يجود على العقول بما يكتنفه من كنوز المعانى ولا نعلم مزية للعقل وجلال التعبير فوق هذا

ومن مزاياه احسانه طريقة النقد والجدل ولا سيما

المناظرات فى المواضيع العمومية فتراه يناظر خصومه السياسيين بالدليل والحق ويعامل مقاومى مبادئه وآرائه بالأناة والصبر دون أن يمس عواطفهم بكلمة بل كثيرا ما تراه يغمز ويلمز في بعض عباراته ولكن بصورة مقبولة معقولة تخلو من قوارص الكلم ولا تتنزل الى مهاوى الطعن والسباب ولا ترى خطة رشيدة أحكم من هذه



كلمات

لحضرة النابغة الاجتماعى القدير أحمد بك لطفى السيد

البيان

كتب بعضهم الى آخر كتابا أطال فيه ثم اعتذر عن الاطالة بأن وقته أضيق من ان يتسع بسط غرضه في القليل المفيد

قد يكون الاطناب من الفصاحة يتحدى بها الكاتب أو الخطيب ليحمل الناس على العمل بما يقول . ولكن لعب الفصاحة بالعقول أشبه بلعب الريح بالعود الرطب يرجع الى حاله الاولى متى سكن الهواء . ولا يبقى للعقل من اطناب الكاتب وتحمس الخطيب الا الحقائق التى لا تحتاج فى بيانها الى شئ من أساليب الفصاحة ولا بديع البيان

شر البيان ما قلت فيه المعانى وكثرت به الالفاظ أو ما ضحى فيه المعنى للفظ أو ما تقطعت فيه أوصال المعاني وتفرقت أجزاؤها تنتهبها الالفاظ تسبغ منها حللا جميلة ضافية لا

تسمح لها بالظهور وشر الكتاب من تغلب قلمه على علمه وعقله وشر من هذا من ولى وجهه ارضاء الناس واستدبر تقرير الحق

الطفل

أعرف طفلا صغيرا أظهر صفاته أنه يشغل بنفسه جميع من حواليه ولا يسمح لهم ان يتلهوا عن محادثته او عن شهود ألعابه الصبيانية . ومن المعلومات الثابتة عند جميع الناس أن الأثرة وهى من أمهات الرذائل تكاد تكون عامة عند الاطفال على أجلى مظاهرها . ونعلم كذلك ان طفولة كبار الرجال كانت تشهد لهم بمخايل وخصائص غير عادية لذلك لا يبين لنا وجه الحق فى اعتبار الطفولة بريئة من رذائل الاطوار الانسانية الاخرى . بل نميل جدا الى قول ملتون « الطفل يدل على الرجل دلالة الصباح على النهار »

المرأة

فى كل الازمان كان الرجال يشتغلون بأمور النساء

لانهن من امهاتهم وبناتهم وأولات الارحام منهم وأزواجهم وموضوع حبهم وزينة بيوتهم ومجالس لهوهم ومحل استبدادهم وظلمهم ومظهر بطشهم أو لينهم وتلطفهم . ولكنى أكاد لاأعرف زمنا اشتغل فيه الرجال بغيبة المرأة الا هذا الزمان يكاد لايخلو مجلس من مجالسنا عن غيبة المرأة الجديدة والمبالغة فى تلك الغيبة . يتناقشون بينهم فى خروج المرأة المصرية الجديدة الى المتنزهات العمومية وفى ان التعليم الجديد قد جر عليها عادات وميولا جديدة أيضا . تفصل أثوابها على المودة الاروبية وتجعل خمارها على ما يتفق مع هذه المودة وتقرأ قصص الحب ولا تميل لكتب العلم الا قليلا وتنتهى هذه المناقشة عادة بقرار أغلبية الاجماع او اكثرية الاصوات ان المرأة الجديدة غير صالحة . ولو أن اغتياب المرأة كان من افواه الشيوخ لكان عذرهم فى ذلك انهم يكرهون الجديد مطلقا ومنه رقى المرأة من الدرك الذى كانت فيه قبل اليوم الى هذه الدرجة التى بلغتها . ولكن غيبة المرأة الجديدة فى مجالس هذا الجيل الجديد اكثر منها فى مجالس الشيوخ المحافظين

يظهر لى ان الرجال أصبحوا باعلان الحرية الشخصية عزلا من سيوف الظلم التى كانوا يحصدون بها حرية المرأة وملكاتها الانسانية كما بزغت فى الوجود. فلم يبق لهم ان يغيروا حال المرأة بأيديهم فهم يغيرونها بالسنتهم واغتيابهم النساء الغافلات.

وللنساء ان يغتبطن بأن سلطة الرجال عليهن قد تدهورت الى حد الغيبة والغيبة سلاح العاجز

أبحث فلا اجد للرجل حق المداخلة في الشؤون اللصيقة بالمرأة كتفصيل اثوابها على قواعد المودة الجديدة التى هى العرف. أيريد من المرأة ان تجمد فى اثوابها وزينتها على ما كانت عليه فى بدء الخليقة وهو هو لا يلبس الا على احدث الازياء؟ أم يريدها على ان يكون غذاؤها العقلى احاديث العجوز المحشوة بالاباطيل المفسدة للعقائد والاخلاق فى حين ان يشهد كل ليلة تمثيل الروايات المربية للنفس والمرشدة الى طريق الحياة؟ ام يريدها على ان تتخلص دفعة واحدة من صفات جنسها الدهرية فتلقى من الشباك قصص

الحب وتقبل على كتب العلم فى حين انه هو لا يقبل عليها الا قليلا !

ان لم يكن من ذلك شئ فالظاهر ان سبب هذه الغيبة المستفيضة هى الافلاس وسقوط المرأة . وما دامت الفتاة تأخذ تعليمها عن المصدر الذى يأخذ منه الفتى فمن الضرورى تزال جميع العقبات الوراثية من طريق المرأة الجديدة لترسم مجد هذا الجيل الناشئ



جوامع الكلم (١)

لفقيد العلم والقضاء المرحوم فتحى باشا زغلول

الخلق والذات

المرء مسير بخلقه لا بذكائه روح الفرد مؤلفة من ارواح مجتمعة : روح الشعب وروح العائلة وروح الفريق الذى هو فيه عادة وقلما افلت من هذا الجمع المطبق عليه — أصل ثبات الخلق ثبات البيئة — سبب تناقض خلق المرء راجع في الغالب الى مغايرة ارادته الشاعرة لارادته اللاتنبهية — قد تكون الفطنة والارادة اللاتنبهيتان ارقى من الفطنة والارادة الشاعرتين لذلك تجد من الناس من سقم رأيه وحسن عمله — مثل «من قدر على الكثير قدر على القليل» ليس صحيحا دائما فذو العقل الكبير ينجح في العظائم اكثر مما ينجح فى الصغائر — قلما اجتمع لامرئ خلق وذكاء لذلك ينبغى له ان يختار اصدقاءه من اهل الخلق ومعاشريه من

(١) تلخيص بعض الافكار المنشورة من مؤلفات الدكتور جوستاف لوبون على مختلف انواعها

أهل الذكاء — روح من كان سريع التأثر كالبحر المائج !
تنعكس فيه أشعة الاشياء كل بلون جديد — لاشئ يقف
أمام ارادة قوية دائمة حتى الطبيعة. حتى البشر. حتى القدر —

روح الشعوب

قوة الامة بوحدة المشاعر المتولدة من تمكن روحها
الملى اكبر من قوتها بالجند . فلقد ساد الرومانيون على الدنيا
بروحهم فلما اضاعوها اضاعوا ملكهم — لكل شعب
تاريخ ولكل دور من ادوار حياته نظامات خاصة وآداب
وفنون وفلسفة كذلك . ولا تحمل غيرها . وما استعارت
امة مدنية اجنبية عنها الا حررتها تحريراً كليا — الوطنية
خلاصة ماترمى اليه روح الامة — امة اهلها كلهم مولدون
لاتساس — الماضى لايموت ابدا فهو حى فينا وهو أقدم
مرشد فى حياة الافرادو الامم وما روح الاحياء. الا مولدة
من افكار الاموات

روح الجماعات

الرجل فى الجماعة ليس هو الرجل الفرد لاختفاء

ذاتيته واندماجها فى ذاتية الكل ولفقدان مملكة النقد والقدرة على التعقل بالدليل فيصير رجلا فطريا له شجاعته ونزعاته وقسوته — الجماعة كائن ساذج لاتريد الا بقوادها ولا تعمل الا بهم فكأنما روحها معتقلة بارواحهم — التأثير فى الجماعة اكثر من التأثير فى الفرد — الجماعة اكثر قابلية للشجاعة منها للفضائل — شدة قابلية الجماعات للتأثر تجعل مشاعرها متقلبة جدا فتراها تنتقل بسهولة من الاعجاب الى الجفاء — قلما تحفظ الجماعة من الحوادث غير جهتها التى اثارت الاعجاب لذلك كانت الاقاصيص عندها ابقى من التاريخ — أول ماتطلب الجماعات آمال وهى بعيدة عن تصور الطوارئ كثيرة التصديق فهى تقبل حتي الامانى التى لا يحتمل تحقيقها — لايروج فى الجماعة فكر الا اذا صيغ لها فى قالب موجز قوى اللهجة

حياة الامم

يتوقف مصير الامة على خلقها اكثر مما يتوقف على ذكائها — من عوامل القوة فى الامة الاحتفاظ بنظاماتها

الاصلية وتقاليدها الاولية والتأنى فى تعديلها شيئا فشيئا وقلما وجد بين الامم من ماض كالولايات المتحدة قوة لها وضعف فيها معا — لاتكون الامة قوية فى الوقائع الا اذا كثرت المنافع المشتركة بين طبقاتها لان الفرد يعمل اذ ذاك لمصلحة الكل مدفوعا بحب الذات — تخرج الامم من الهمجية بما تضع لشهواتها من القيود فاذا كسرتها عادت الى همجيتها — لاترقى الامة بحكومتها بل باجتماع مجهودات افرادها — الامم كالعناصر الحية : تزول اذا طال الامد عليها وهي واقفة مكانها متعلقة بماضيها فتفقد بذلك ملكة الانطباع على مقتضيات حياة غير حياتها — لاتستطيع امة ان تنقل الى الامة نظاماتها كما انها لا تستطيع ان تنفخ فيها روحها

الاخلاق

ليست نواميس الاخلاق امورا فرضية ولكنها ضرورات لازمة — لا بقاء لحضارة دون أخلاق فمهما اشتدت صرامة القانون لتأييد مبادىء الاخلاق لاتعد

شدتها غلوا — لاتكتسب الاخلاق قوة صحيحة الا اذا صار الناس لايعدون مراعاتها من الفضائل الممتازة -- انما تكتسب الاخلاق بمزاولتها فهى كالفنون من المعلومات التي لاتكتسب من الكتب — البيئة والقدوة مؤثران كبيران فى الاخلاق — اخلاق كل امة مقياس كفاءتها من اقوى دعائم الاخلاق الخوف من تفقد الناس — اذا تداعت اخلاق الامة عاجلها الفناء — تعلو حضارة الامة بقدر تمكنها من ضبط نفسها اعنى بقدر ثبات أخلاقها وتمكنها — اذا اغضيت عن الضرر فقد ساعدت على انتشاره

التربية والتعليم

التربية فن تنتقل به المعقولات الى مشاعر — قيمة المرء خلقه لا علمه كما يذهب اليه أساتذة التعليم عندنا — عدة المرء الداخلية المتينة فى خلقه لا فى علمه . فان لم تكن له هذه الاداة أصبح ألعوبة فى يد الأحوال والظروف — ليس التعليم تربية فالاول يغنى الحافظة وأما التربية فانها

تولد فى الانسان ميولا نافعة وتمكنه من قمع الميول الفاسدة انماء المفكرة وملكة الحكم والهمة والثبات أشد لزوما من تكليف المرأ رص الجمل الباردة كما تفعل المدارس الآن تعلو الرجولية بالعلم او تنحط بحسب طبيعة عقل من يتلقاه ولا يستفيد من المعارف العالية الا أهل العقول السامية اختيار طريقة التعليم أهم فى مصلحة الامة من اختيار حكومة مناسبة لها — من أكبر أوهام الديموقراطية تمثيلها ان التعليم يسوى بين الناس وهو لايصلح بين الناس وهو لايصلح فى الغالب الا فى تجسيم الفروق — محاولة تعليم الاحداث أشياء كثيرة تجعلهم لايحرزون شيئا وقد غفلت مدارسنا عن هذا المبدأ الاولى — ينبغى ان يكون المربى قادرا على أن يميز مافى كل تلميذ من الملكات الطيبة القابلة للرقى اما اذا ترك اختيار الدروس والحرفة الى الاتفاق فقد انحط عمل المتعلمين

محمد أفندى مسعود

لانظن ان واحدا من المصريين يجهل مسعود افندى أو يجهل علمه الواسع وأدبه الرائع . فهو كاتب شهير امتاز على الخصوص بسعة الاطلاع وابتكار الاساليب وترتيب المعاني واحكام ربطها . وقريحة المقتدر على ذلك شبيهة بمخزن كبير يحوى صنفا من البضائع الثمينة وذلك غاية الغايات فى العلم والانشاء

عرفناه فى الصحافة وكان أول عهده بها جريدة المؤيد فعرفناه منشئا فذا وكاتبا اجتماعيا قديرا يجول فى كل موضوع جولة المفكر المتضلع فى العلوم والمعارف فوق بلاغة الانشاء وحسن التعبير ورجاحة الرأى ونبالة العواطف وصدق الضمير والتجرد للخدمة العمومية

أنشأ جريدة المنبر مع زميله حافظ أفندى عوض فاوجد فى الصحافة منارة يهتدى بها وجعل منبره منبرا يخطب فيه على الناس لاعلاء حب الوطن فى الوطن ثم سبقه زميله الى المعية فأخرج لامته جريدة النظام وضرب فيها على وتر

الوطنية الحقيقية أحسن توقيع فهذب وعلم وارشد وفاد حتى
لا نبالغ اذ قلنا اننا لا نعرف كفضله في خدمة الواجب وله
مؤلفات ومصنفات كثيرة تتداولها الايدى في كل مكان
واحسنها رسائله ورواياته الاجتماعية وقد البس المعنى الواحد
فيها من حلل الفصاحة أشكالا حتى لتجدن في كلامه رقة
فطرية وظرفا طبيعيا وفي معانيه ابتكارا يريك انه رجل ممتاز
بين رجال هذا العصر بقوة الخيال وحسن الاسلوب

وحسبك دليلا على اقتداره في الاجتماعيات رسائله
في العلم والاسلام



الاسلام والعلم

نهوض الامة العربية

لاشئ أغرب فى تواريخ الامم وسير الشعوب من رجال هبوا من صحارى جزيرة العرب فعنت لهم رقاب العباد وخضعت لسطوتهم البلاد وكان استيلاؤهم على بلاد الشام والعجم والهند والمغرب وأسبانيا كافيا لزلزلة اركان هذه الاقطار واذلال ملوكها الطاغين الذين اصبحوا وقد تضعضعت دعائم قوتهم وانحلت عرى شوكتهم وصاروا من المذلة والهوان بمكان يتخطاهم فيه نظر كل انسان

ومن قرأ مادونه المؤرخون من حادثات المتقدمين وانعم النظر في معانيه ثبت لديه ان العرب كانوا الامة الوحيدة التى بان شأوها على غيرها في الغلبة والظهور اذ أسسوا دولة موثقة الاركان لم يمض عليها ردح من الزمان حتى صارت من ضخامة القوة وفخامة العزة وجلالة القدرة بدرجة لم تسامها دولة قبلها فكان جيشها اقوى الجيوش

واكثرها عدة وعددا وخزائنها اعمر الخزائن بالاموال وادارة شؤون بلادها انظم الادارات واحكامها قائمة على العدل والرفق . ولقد بلغت هذه الكمالات عندهم أقصى المدى وابعد الغايات حتى ان علماء اوربا الذين خلصت ضمائرهم من أدران التشيع لم يسعهم الا الاعتراف بسمو مجدهم السابق وما كان لمدنيتهم من التأثير فى المدنية التي يفتخر بها الاوربيون الآن ظنا منهم انها من مبتكراتهم وما هى فى الحقيقة الا بناء شامخ اقيم على الاساس المتين

ولقد أفاض كثير من المؤرخين في الكلام على العرب أيام الخلفاء الراشدين وفي وصف ماقاموا به من الاعمال الجليلة فتطابقوا فى الثناء على هممهم والاعتراف بفضلهم ونخص بالذكر منهم مؤرخا انكليزيا اعجب فى كتاب له بالشورى فى الاسلام وضرب عليها مثلا « تشاور عمر وعثمان وعلى (رضى الله عنهم) في تسيير الجنود الى يزدجرد ملك فارس الذى كان معتصما بجباله الشامخة ومعجبا بكثرة جنوده وأفياله . وكيف كانوا يخطون على الثرى منعطفات الجبال

واتجاهات الدروب والمفازات التى يؤمن على الجيش فيهامن العطب وهم جلوس على الارض بكمال الخشوع والسمت » الى ان قال ! « وان قوما هذا شأنهم لعلى حق وهداية لانهم كانوا قبل اجتماعهم اعداء مفترقين فاضحوا بالاتحاد يدبرون الوسائل لقهر اقوى واعظم ملك فى أقدم واكبر مملكة على قرب عهد التباعد والتدابر بينهم وكان شعارهم فى ذلك التواضع ومقعدهم الثرى

الدولة العربية

نعم ليس فى آثار الامم كالذى شاده العرب يشهد بفضلهم وينطق بعزتهم وجاههم فانهم هبوا من الصحارى القاحلة التى يودع هواؤها الطلق فى القلوب مزايا علو الهمة واباء النفس فأسسوا أقوى دولة في العالم على دعائم متينة من التقوى والعدالة وهى ان تكن عبثت بها يد الحوادث فالقتها في حضيض التأخر واوردتها موارد التقهقر التى ما برحت فيها حتى الآن ولكن لها من متانة اساسها الذى قامت عليه ما يبعث على الرجاء في ان تقال من عثرتها يوما

تقدم العرب في العلوم والفنون

وابهج من هذا المنظر للنظار وأحرى بتعجب ذوى التأمل والاعتبار أن العرب كانوا لدى ظهور الاسلام عطلا من العلوم والمعارف فلم تنقض فترة من الزمن حتي سموا الى العلى وبلغوا رتبة لاتدانى من التمدن والعرفان فاتسعت عندهم دائرة الآداب وانفسح مجال الفنون لدرجة لم يبلغ شأوهم فيها أحد. واية امة غير العرب فاقت وقتئذ في الاحتمال بتنميق الابنية وتزويق الآثار وامتازت على غيرها في الفلك والطب والكيميا والطبيعة والتاريخ والرياضيات وعلم المواليد وغيرها من العلوم؟ هذه هى القمة العالية التى وصل العرب اليها وغرسوا فيها راية فخرهم. وهذه كانت درجة انتشار العلوم والمعارف والفنون والآداب بينهم حتى لقد نبغ منهم على ما يقال شعراء اكثر عددا منهم في أية امة من الامم المتمدنة الآن وتخرج غيرهم فى التاريخ كابن خلدون وابن الاثير وابن خلكان وابى الفداء الذين ترجمت مؤلفاتهم

منذ عهد بعيد الى اللغات الاجنبية ولا يزالون الى اليوم
موضوع تبجيل علماء اوربا والمورد الذى يردونه لاغتراف
معلوماتهم في التاريخ

وصفوة القول ان التمدن العربى كما بلغ درجة لاتدانى
سموا وعظمة كان سقوطه من العلوة التى بلغ اليهابالغاومؤثرا
ولسنا نجد أبلغ في تمثيل حال العرب فى تقدمهم وتأخرهم من
قول الدكتور جستاف لوبون في خاتمة كتابه حضارة العرب
« قليل من الامم فاق العرب فى الحضارة والمدنية ولكن
لاتوجد امة منها بلغت هذا المبلغ في الزمن القصير مثلهم
أما من الوجهة الدينية فقد وضعوا أساس أقوى الديانات
التى سادت على قلوب العالم بل دعامة دين لايزال اقوى
بتأثيره فى النفوس من أي دين سواه وأمامن جهة السياسة
فقد شادوا أوسع مملكة عرفت سيرتها فى التاريخ ويكفى
لبيان أعمالهم العقلية والادبية أن نقول انهم الذين مدنوا
أوربا الا انه كما لم يبلغ غيرهم شأوهم فى التقدم لم يقع سوى
القليل من غيرهم فى مثل المهواة التى وقعوا فيها وهم فى

عظمتهم وانحطاطهم يمثلون مظاهر تأثير العوامل الباعثة
على ظهور الدول الى عالم الوجود والبقاء ثم دخلوها فى طور
العدم والفناء

تعريب كتب العلم

ولقد كان الخليفة العباسى الثانى أبو جعفر المنصور على
ماقاله القاضى صاعد بن أحمد الاندلسى أول من عنى من
الخلفاء بالعلوم وكان مع براعته فى الفقه كلفا بعلم الفلسفة
وخاصة بعلم النجوم . ثم لما أفضت الخلافة في العباسيين
الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم
مابدأ به جده فاقبل على طلب العلم فى مواضعه وداخل ملوك
الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا
اليه منها بما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة فترجمت له
على غاية ما أمكن ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم
في تعلمها — ولم يمض حين بعد ذلك حتى حفلت بغداد
بالعلماء والمصنفين وزخرت خزانتها بالكتب النفيسة
وتناولت هذه النهضة العلمية فى بلاد الاندلس فان الخليفة

عبد الرحمن الاموى الملقب بالناصر جعل قرطبة مقر الخلافة
في عهده دارا للعلم واستورد اليها الكتب من سائر الآفاق
العربيـة حتى اجتمع فيها على مايقال ستمائة ألف مجلد
ولم يأت القرن الخامس للهجرة حتى كان فى الاندلس سبعون
مكتبة حافلة بالـكتب

ومن الـكتب التى عربت كتب الطب التى استخرجها
من الفارسية بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور طبيبه
جرجس بن بختيشوع وكتاب صناعة التنجيم المسمى بسند
هند الذى عربه من الهندية محمد بن الغراوى وكتاب كليلة
ودمنة الذى عربه عبد الله بن المقفع كما عرب كتابا فى المنطق
عن اليونانية . واقتدى بأبي جعفر المنصور فى هذا السبيل
هرون الرشيد فانه لما فتح أنقرة أمر بحمل كتبها الى بغداد
وأوعز الى طبيبه يوحنا بن ماسويه بتعريبها وحذا حذوه
المأمون فأ كثر من نقل كتب اليونان الى العربية فكتاب
اقليـدس والمجسطي لبطليموس وكتاب ابولونيوس في
المخروطات وغيرها فى الحكمة والطب لابقراط وجالينوس

وغيرهما عربها حنين بن اسحاق العبادى طبيبه من مشاهير المترجمين في الدولة العباسية وثابت بن قرة فى أيام المقتدر ويعقوب بن اسحاق الكندى فى عهد المعتصم ويوحنا بن البطريق وحبش بن الاعسم الذى كان ينقل عن اليونانية والسريانية وقسطا بن لوقا ومما عربوه عن فلاسفة اليونان فيثاغورث فى الحساب والموسيقى والرياضيات ومؤلفات افلاطون فى النفس والسياسة المدنية وكتب ارسطاطاليس فى المنطق والحكمة والطبيعة والمواليد ودستوريدس فى الادوية والعقاقير الخ

ومن ذا يرى ان العرب ما كاد الامر يستتب لهم فى البلاد التى فتحوها بمشارق الارض ومغاربها وتتوطد دولتهم فيها حتى تفرغوا لمدارسة العلوم والمعارف ووردوا على حياضها ورود الصادى على الماء النمير فى الينبوع الغزير ولكى يلم القارئ بطرف من نتائج بحثهم فيها نذكر بالاختصار مبتكراتهم فى العلوم والفنون ليقدر القارئ قدرهم ويوقن أن التمدن الحالى انما هو جنى ماغرسوه وقطاف مازرعوه

مبتكرات العرب فى العلوم الرياضية

اجتهد العرب في درس العلوم الرياضية اجتهادا أدى بهم الى وضع علم الجبر وتطبيقه على الهندسة وقد عرفوا بشدة الميل الى دراسته والعناية بضبطه حتى ان المأمون عهد يوما الى محمد بن موسى الخوارزمى الرياضى قيم خزانة كتبه بتأليف مصنف في الجبر والمقابلة قريب المنال سهل المأخذ وهو اول مصنف جامع كتب بالعربية في هذا الفن واقتبس علماء أوربا منه فيما بعد المعلومات التى استعانوا بها على ترقيته الى الدرجة التى هو فيها الآن

ومن أهم الاعمال الرياضية التى استنبطها علماء العرب استخدام المماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا وغيره مما قام به الرياضى ابو الوفاء محمد بن محمد بن يحيي البوزجانى (١) وله جدول للمماسات ونظائرها وتصنيف في

(١) كان أبو الوفاء البوزجانى من أشهر العلماء فى الهندسة قال ابن خلكان وله فى هذا العلم استخراجات غريبة لم يسبق اليها وكان العلامة كمال الدين ابو الفتح موسى بن يونس وهو القيم بهذا

استخراج الاوتار وشرح لكتاب ديوفنطس في الجبر والمقابله
وممن اشتهروا فى الرياضيات أبناء موسى بن شاكر محمد
واحمد والحسن كان الغالب عليهم من العلوم على قول ابن
خلكان الهندسة والحيل (المكانيكا) والحركات والموسيقى
والنجوم ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر الوجود يشتمل
على كل غريبة . ولمحمد منها مصنفات فى المسطحات
وللفرغاني مؤلف فى علم تسطيح الكرة سماه الكامل وممن
ألف فى هذا العلم أيضا البيرونى وتقى الدين وغيرهما

ويدلك على أهمية ماقاموا به من الاعمال الرياضية ماقاله
المسيو ساشل فى كتابه (ايضاح الطرق الهندسية) من
ان ادخال المماسات فى حساب المثلثات ذلل صعوبات هذا
العلم ولم يفطن الاوربيون اليه الا بعد العرب بستمائة
سنة وكان كوبرنيك وهو من أكابر علماء الهيئة عندهم يجهله
فى عهده كل الجهل

الفن يبالغ فى وصف كتبه ويعتمد عليها فى اكثر مطالعاته
ويحتج بما يقوله

مبتكراتهم فى علم الهيئة

كانت بغداد اهم مركز لتعليم الفلك ولذا نبغ من مدرستها كثير من العرب وغير العرب مثل أولغ بك بن تيمورلنك الشهير بأزياجه الفلكية. وقد لبثت هذه المدرسة من عام ٧٥٠ الى ١٤٥٠ ميلادية كعبة للطالبين ومحط الرحال المستفيدين وكان بها مرصد كبير كما كان فى دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وباقى أمهات المدن الاسلامية

ولما جعل الخلفاء العباسيون بغداد مقر ملكهم وقاعدة دولتهم أمروا بترجمة كتب اقليدس وارشميدس وبطليموس وباقى الفلاسفة اليونانيين واستمالوا أكابر العلماء الى ساحتهم بما كانوا يقابلونهم به من التجلة والاكرام فقامت مدرستا بغداد ودمشق الفلكيتان فى عهد الخليفتين هرون الرشيد والمأمون بأعمال جليلة اودعت فى كتاب كبير لم يعثر بالاسف عليه. ويدل على توخيهم الدقة والضبط فيها اهتداؤهم الى تحديد ميل الدائرة الكسوفية على خط الاستواء بثلاث وعشرين درجة و٢٣ دقيقة و٥٢ ثانية وهو نفس

ما اهتدى اليه علماء الفلك فى أيامنا هذه بآلاتهم وأدواتهم الكثيرة

وحددوا أيضا مدة السنة برصد الاعتدالين ووضعوا لذلك قاعدة قياس قوس من خط الزوال وقد أتم هذه العملية غيرهم بعد مضى الف سنة من استنباطهم لها فالفضل فى ذلك عائد اليهم

علماء العرب فى الهيئة

ومن العرب الذين برزوا فى علم الهيئة أبو عبد الله بن جابر بن سنان الحرانى الصابى المعروف بالبتانى (توفى عام ٩٢٩ من الميلاد) وكانت منزلته في قومه كبطليموس عند اليونان ومصنفاته كمصنفات هذا جامعة للمعلومات الفلكية التى تناولتها العقول الى عهده فلا غرابة اذا حسبه لالند العالم الفلكى الفرنسوى فى عداد العشرين عالما الذين حازوا قصب السبق فى علم الهيئة منذ وجد الى الآن . ومن أعماله الزيج المعروف بالصابى ضمنه مواقع الكواكب لسنة ٢٩٩ من الهجرة وتوجد منه نسخة فى مكتبة الفاتيكان

وكان يرصد فى الرقة (بلدة على ضفة الفرات) وموقعها على ٣٦
درجة من العرض الشمالى فوجد أن ميل دائرة البروج أى
الدائرة الكسوفية ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة وقد أضاف لالند
السالف الذكر اليه ٤٤ ثانيـة للانكسار ثم طرح ٣ ثوان
للاختلاف الافقى فرآى أن الميل المذكور يكون ٢٣ درجة
و٣٥ دقيقة و٤١ ثانية ومن أعماله اكتشافه نقطتى الرأس
والذنب واستبداله أوتار القسى بالجيوب فى قياس المثلثات
والزوايا ومنهم أماجور وولده اللذان استقلا بالرصد من سنة
٨٨٣ من الميلاد وامتاز ثانيهما ببيان اختلاف حدودا كبر
عرض للقمر مخالف بذلك مذهب الاوائل وفى مقدمتهم
بطليموس ومنهم أبناء موسى بن شاكر المؤرخ الشهير
وهم ثلاثة تفردوا في وقتهم بالوقوف على دقائق علم الفلك
وبالاكتشافات الفلكية ذات الاهمية الخطيرة التى منها
تحديد تقهقر نقطتي الاعتدالين (المبادرة ورسم مواقع النجوم
فى أيام السنة) وقياس عرض مدينة بغداد بأنه ٣٣ درجة
و٢٠ دقيقة وهو العرض الحقيقى الذى استخرجه علماء اليوم

ومنهم أبو الوافى المتوفى ببغداد عام ٩٩٨ من الميلاد وقد عثر

المسيو سيديو صاحب كتاب (خلاصة تاريخ العرب) على

مؤلف له بخطه فى علم الفلك فاستدل منه أنه أول من برهن

على عدم تساوى سطح القمر لانه تحقق فساد نظرية بطليموس

فى هذه المسألة ولما بحث فى أسبابه اهتدى الى الحقيقة .

وزعم بعضهم ان الفلكى تيكوبراهة الذى كان عائشا بعد

أبى الوافي بستمائة سنة هو الذى أصلح ذلك الخلل وهو زعم

تظهر بطلانه الاسبقية فى تاريخ الحياة

وقد استنتج المسيو سيديو مما تقدم أن مدرسة بغداد

بلغت فى أواخر القرن العاشر من الميلاد أقصى درجات التقدم

الذى يمكن الوصول اليه بدون مساعدة النظارات والآلات

المقربة

وفى أوائل القرن العاشر من الميلاد انقرضت الدولة

العباسية وعفيت آثارها بتوارد الفتوق عليها من كل ناحية

وتواتر غارات السلجوقيين والمغوليين فهاجر العلم من بغداد

موطنه الذى نشأ وترعرع فيه واستقر بمصر القاهرة

وبعض مدائن الاندلس . ومع هذا فقد كان لايزال لعلم الفلك ببغداد سوق نافقة وبضاعة رائجة كأن الخطوب المدلهمة التي نزلت بالدولة العربية فيها لم تصرف العلماء عن ميلهم الى اجتناء ثمار المعارف وهو ما أسكن لهم المحبة في نفوس قاهريهم وعصمهم من شرهم وأرغم هؤلاء اليهم فكانت حياتهم العلمية أطول مكثا من حياتهم السياسية

لبثت مدرسة بغداد بعد سقوط هذه المدينة قائمة وطيدة المقاوم حتى أواسط القرن الخامس عشر من الميلاد تتفجر من ينابيعها مياه المعارف فيغترف منها الصادون من طلاب العلوم . ومن الدلائل على ذلك ان البيروني صاحب محمود الغزنوي انشأ فى سنة ١٠٣٠ زيجا يتضمن عروض وأطوال الاماكن الشهيرة من الارض وزار هذا العالم بلاد الهند فنشر بين أهلها عرف معارف مدرسة بغداد في علم الفلك وفي سنة ١٠٧٩ أمر السلطان السلجوقى ملك شاه باجراء عمليات رصدية أدت الى اصلاح التقويم العربى الذى سبق التقويم الغريغوارية بستة قرون وفاق عليه فى الدقة

والضبط اذ لايخفى أن مدة بقاء السنة الغريغوارية تفضى الى فرق قدره ثلاثة أيام فى كل عشرة آلاف سنة بخلاف السنة القمرية العربية فانها تؤدى الى فرق يومين فقط فى مثل هذا الدور الزمنى المديد . ومن تلك الدلائل أيضا ان (هولاكو) وهو الذى أخنى على الدولة العباسية وأتى من الايذاء فى حق علماء بغداد مايخجل اليراع من تسطيره استمال علماء العرب الى مخالطته وشيد لهم مرصدا فاخرا ومثله (كوبلاى خان شقيقه) فقد نقل أعمال فلكى بغداد والقاهرة الى بلاد الصينيين لاسيما كوشيو كنغ الذى كان عائشا في القرن الثالث عشر من الميلاد قد اقتبسوا معلوماتهم الفلكية من كتب العرب وان هؤلاءهم الذين قاموا بنشر هذه المعلومات فى العالم أجمع .

ولما جعل تيمور لنك مدينة سمرقند قاعدة مملكته التى كانت تضم الى دائرة واحدة بلاد تركستان والعجم والهند عضد علماء العرب وأدناهم منه وأفاض عليهم التعطفات والمنن وقد استن بسنته من بعده ابنه أولغ بك أمير سمرقند

الذى كان عائشا فى أواسط القرن الخامس عشر فانه لشغفه
بعلم الفلك جمع حوله المشهورين من فلكيى العرب واقتبس
من معلوماتهم ماأوصله الى الرتبة القصية فى ذلك العلم
وقد أنشأ مرصدا فلكيا لم يتح لغيره من الامراء تشييد
مثله وجعل فيه جميع الآلات والادوات اللازمة للرصد
وذكر بعضهم ان من هذه الآلات ربعا يوازى طول نصف
قطره ارتفاع مسجد أيا صوفيا . ولاهمية الاعمال الفلكية
التى قام بها أولغ بك اعتبره علماء أوربا الوصلة بين المتقدمين
والمتأخرين من علماء الفلك



الانتقاد هنا وهناك

لحضرة الكاتب القدير الامير شكيب أرسلان

ليس في مراقى الكمال ومعارج العلاء سبب أنهض بنائله وسلم ارفع بصاعده بل منطاد أرقى براكبه في سماء العز من حسن الانتقاد . ولقد نزل الانتقاد في هذا العصر منزلة الروح من الجسد فجميع مانشاهده من آثار الحضارة الاوربية الباهرة من مادى ومعنوى انما هو عمل النقد ونفحة التحقيق حتى لو شاء الانسان بيان فضائل هذا الذوق لوجده متحققا فى كل فرع من فروع المدنية متجسما فى كل مظهر من مظاهر العمران

وغرضنا الآن انما هو ذكر الانتقاد العصرى فى الانشاء خاصة والملكة التى تحصلت للافرنج فى تمثيل بيان علمائهم وتحقيق أوصاف كتابهم وتعمقهم في نقد الافكار ومحاكات الاساليب وتعقب الآراء وكيف . انهم يصلون فى ذلك التشريح المعنوى الى أدق الدقائق ولا يزالون يقطعون من

مفاصل الكلام الى ان يظهر واالاجزاء الواحدة والجواهر الفردة من خواطر الكتاب فاذا عرض لواحد منهم وصف عالم أو أديب أو خطيب دخل من كلامه في مثل تحليل كيماوى أو تشريح طبي يقتله علما ويوسعه فهما ويهيئه للاذهان ويصوره للعقول ويميز فيه بين المتناقضات ويقرن بين المتوافقات ولا يفتأ يقربه للقراء حتى يكاد الانسان يمس باصبعه أدق خواطر النفوس واخنس خوالج الصدور ولا يبرح الواصف منهم فى تفهم معانى القائل واستسفاف حجب حسه حتى ينزل من كلامه منزلة نفسه فلو جاء هذا يصور نفسه للناس ويمثل قلبه للمتأملين لم يجئ باجلى واغرب فى تلك العجمة من وصف واصفه وبيان مترجمه ثم يضربون بعد هذا الاحفاء خلاصة آثار الفاضل على محك العلم الصحيح فلا يبخسونه شيئا كما لا يعرفون الاطراء الا في موضعه ولا يسمحون بالمدح الا لمستحقه وعلى قدر استحقاقه وهم ينزلون باقلامهم عن الثناء المطلق فلا يرفعون له لواء الا فوق جنود الادلة وجياد البراهين يوفرون لكل قسطه فى فنه

ويقيسون درجته في ذلك الفن ويعلمون مقدار مافى رأس
الانسان من المنطق كما يعرض الكيماوى بالتحليل كمية ما
فى جسم الانسان من الحديد ويدركون مواقع الضعف
والقوة فى الاجسام وبالجملة فلا يسمع احد بذكر احد من
علمائهم أو فصحائهم الا علم مزيته ووقف على سبب
شهرته وعرف ركيكه من متينه وغثه من ثمينه

وكل من اطلع على وصف كتاب الفرنسيس لفقيدهم
رينان علم كيف تصاب أغراض الوقائع ومقاتل الحقائق
وترمى اكباد الامور ويحاط بضمائر الاشياء ويوقف على
صناعة التشريح العقلى لاسيما اذا كان ممن نظر في تأليف
الرجل فهناك يعجب ببراعة التمحيص وابداع التمييز بين
النقص والتفصيل

اما نحن فليس عندنا من الانتقاد الا الاسم اللغوى
لان الناقد عندنا هو الميل والحاكم هو الهوى ومحك النقد
هو الغرض الشخصى والعلم لضعفه فينا وقصوره بيننا
متصل بالشهوة متداخل مع المآرب ولا يخفى ان العلائق

كانت العوائق عن الحقائق فكيف اذا كانت الشهوات والاهواء ثم اننا مبتلون بمرض التقليد مسح الله مابنا من هذا الداء الموهن للعقل الذاهب بصحة الفكر فلا تلد عقولنا بديعا فى القول ولا تضع أفكارنا حملا في الصواب وانما وجدنا آباءنا على ملة وانا على آثارهم مقتدون حتى فى سوق الافكار الجزئية ونهج الآراء الخصوصية وكأن القرون لا تختلف والاعصر لاتتفاوت وكأن للكاتب لباسا رسميا عن الانشاء فلايجوز له ان يلبس سواه وحركة لاينبغى ان أن يتعداها ولهذا فلنا من محاسن البيان فنون كثيرة وان ظننا أننا حصرنا محاسنه كلها فى أيدينا ووضعناها فى جيوبنا ولو لم يكن في مقدمة هذه الا علم الانتقاد الذى هو سر الانشاء وسحر البيان لكفى به قصورا عن ادراك غاية الافرنج

انتظروا الينا اذا شئنا ترجمة أحد مشاهيرنا تجدوه أحد رجلين كلاهما مظلوم فأما المحب الغالى فلا يري له عيبا ولايعلم نقصاولا يتخيل ضعفا ولاقصورا وأما المبغض القالى

فلايبصر حسنة ولا يرمق فضلا ولا يحسن اجادة ولذلك
فقد انقسم الانتقاد عندنا الى قسمين اما الفضل والاطراء
المجرد أو المديح المطلق وخفارة اسم العالم بجيش من النعوت
والالقاب من قدام الاسم ومن ورائه وانه وحيد الدهر
ومفرد العصر وبادرة الفلك والكبريت الاحمر والياقوتة
الحمراء الى آخره

واذا دخلنا فى تفصيل أعماله لم نجد الا صنف والف
وأجاد وأفاد وأجاز ورحل ونفع وانتفع به خلق كثير . وله
تآليف لايحصى عددها نذكر اسماءها ونطرى انشاءها بلا
محكة ولا مناقشة ولا تبيين وجه حسنها ولا تعريف لذلك
الانشاء سوى أنه السحر الحلال والماء الزلال والشمول
والشمال وجميع مايعجبك بشرط واحد هو أن تقل المعانى
وتكثر الالفاظ وأما فيما يستحق انظر فلا نعرف سوى
الطعن جزافا لانعنى باثباته ببرهان ولا باسناده الى أركان ولا
نعجب الا ببراعة التنديد ورصف الشتائم بعضها الى بعض
وهو أضعف وجوه النقد وأكل أسنة الرد هذا ان لم يحمل

الحسد ومجرد حب الاشهار على جحود الفضل نفسه أو
تقبيح الحسن بعينه فانني لا أعلم من اين جاء لبعض الناس
أن كسب الاحدوثة والصيت انما يحصل بالاعتداء على الفضلاء
والتطاول على مقامات الاعلياء من أهل العلم ومع هذا
فنقول ان مثل هؤلاء لا يساق اليهم حديث ولا تحدى اليهم
نجائب كلام وانما يوجه الخطاب الى الذين يريدون أن يكونوا
شيئا فى عالم الادب وأن يخدموا أوطانهم ببيانهم فان هذا
العالم هو عالم الكلام والانسان تعلم بالكلام وآمن بالكلام
وكفر بالكلام وصلح بالكلام وفسد بالكلام ولا بد للقيام
بوظيفته هذه من بسطه على قدر المواضيع وتشكيله بشكل
الزمان كيلا يكون الناقد فى زمن والخطاب الذى هو الواسطة
الواحدة لتفاهمهم فى زمن آخر فنقطع ما بينهم وبين زمنهم
وان الادباء الذين وكل هذا اللسان العربي اليوم الى أقلامهم
حقيقون بأن لا تفوتهم آداب الانتقاد كما هو عليه عند
الافرنج ! فان انشاءنا كسائر أشيائنا هو أيضا محتاج الى
الاصلاح والتهذيب ولا يمكن ان نخاطب عصرنا بلغة

القرن الماضى ولا الوقوف ضمن حدود مرسومة ولايجوز
تخطيها فى البيان والناس من حوالينا قد ساروا فى سير
تقدمهم الفكرى بسرعة البرق والبخار اللذين انطبع بهما
هذا الزمان فان الحدود المرسومة هى للغة التى يبقى رواؤها
في حفظ تراكيبها الاصلية والذهاب بها عن العجمة ولكن
ليست للخواطر والمناهج فان هذا العقل لايحصره شئ



صناعة الانشاء

«لابن المعتمر» (١)

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا وأشرف حسبا وأحسن فى الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا (٢) وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن أراغ (٣) معنى كريما

---

(١) ابن المعتمر ت سنة ١٨٣ هـ

هو بشر بن المعتمر أحد علماء الكلام ورئيس فرقة من المعتزلة تسمى باسمه وكان خطيبا مفوها وعالما جليلا

(٢) القصد المعتدل (٣) أراغ طلب

فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف
ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من
أجله الى ان تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس اظهارهما
وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . وكن في احدى
ثلاث منازل أولاها أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما
سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما
عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة
ان كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من
معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى
العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع
موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال فان امكنك
ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك
واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها
الالفاظ الواسطة التى لا تلطف على الدهماء ولا تجفو عن
الاكفاء فانت البليغ التام : فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك
ولا تعتريك ولا تسنح لك عند اول نظرك وفي اول تكلفك

وتجد اللفظة لم توقع موقعها ولم تصر الى قرارها من اما كنها
المقسومة لها والقافية لم تحل في مركزها وفى نصابها ولم
تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها
فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول في غير
أوطانها فانك اذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف
اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وان أنت
تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا
بما عليك وما لك عابك من أنت أقل عيبا منه ورأى من
هو دونك أنه فوقك فان ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى
الصنعة ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة وتعصى عليك
البيان بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض
يومك او سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك
فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هنالك طبيعة
أو كنت جريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك
الامر بعد ذلك فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة
الى أشهى الصناعات اليك واخفها عليك لان النفوس

لاتجود بمكنونهامع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة

كما تجود به مع المحبة والشهوة

الارتاج

«لاحد أمراء العباسيين»

وقد صعد المنبر ليخطب فأرتج عليه فقال

أما بعد فقد يجد المعسر ويعسر الموسر ويفل الحديد

ويقطع الكليل وانما الكلام بعد الافحام. كالاشراق بعد

الاظلام وقد يعزب البيان ويعتقم الصواب وانما اللسان

مضغة من الانسان. يفتر بفتوره اذا نكل. ويثوب بانبساطه

اذا ارتجل. ألا وإنا لا ننطق بطرا. ولا نسكت حصرا.

بل نسكت معتبرين. وننطق مرشدين. ونحن بعد أمراء

الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا عطفت أغصانه ولنا

تهدلت ثمراته فنتخير منه ما احلولى وعذب ونطرح منه ما

املولح وخبث ومن بعد مقامنا مقام. وبعد أيامنا أيام.

يعرف فيها فضل البيان وفصل الخطاب والله أفضل مستعان

فصاحة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

«للجاحظ»(١)

عاب النبي صلى الله عليه وسلم التشديق وجانب اصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور فى موضع القصر وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى فلم ينطق الا عن ميراث حكمه ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وألقى الله عليه من المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام والايجاز. ومع استغنائه عن اعادته وقلة

---

(١) الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥

هو أبو عثمان عمرو بن بحر العالم المشهور والكاتب القدير وله على جميع الكتب قاطبة مزية الاحسان والعلو فى كل موضوع يطرقه حتى فى المواضيع التى لم يألف أدباء الكتاب الكتابة فيها وربما كان كتابه الحيوان أبلغ كتبه وكان فى كتابته كثير التوسع والاستطراد والخروج من غرض الى غرض حتى يكاد يقع أحيانا فى الغموض والابهام

حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمه ولا زلت به قدم بل
يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات
الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب
الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستمل المؤاربة ولا
يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعطل ولا يسهب ولا يحصر
وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا
ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل
مخرجا من كلامه صلى الله عليه وسلم



فضل البيان

«للجاحظ أيضا»

أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره وكان معناه في ظاهر لفظه حتى يخيل لك أن الله عز وجل ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله . فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه منزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطه ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة



الاديب غير الكاتب

« للمبرد » (١)

لا أحتاج الى وصف نفسى لعلم الناس بى أنه ليس أحد من الخافقين تختلج فى نفسه مسئلة مشكلة الا لقينى بها وأعدنى لها فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لايخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلته أو التماس حاجة فاجعل المعنى الذى أقصده نصب عينى ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغنى أن عبيد الله بن سليمان ذكرنى بجميل فحاولت أن أكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أمورى فأتعبت نفسى يوما فى ذلك فلم أقدر على ما

---

(١) « المبرد » المتوفى سنة ٢٨٥ هجريه

هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد أحد أشياخ اللغة العربية فى عصره وكتابه الكامل أحد الكتب الاربعة التى عدت أمهات الادب وكتابته فى تآليفه فى الطبقة الاولى من البلاغة الا أنه كان لايحسن اختيار الشعر ولعل ذلك كان لغلبة نزعة اللغة والرواية عليه .

أرتضيه منها وكنت أحاول الافصاح عما في ضميرى فينصرف لسانى الى غيره فزيادة المنطق على الادب خدعة وزيادة الادب على المنطق هجنة

الفصاحة فى الاسلوب

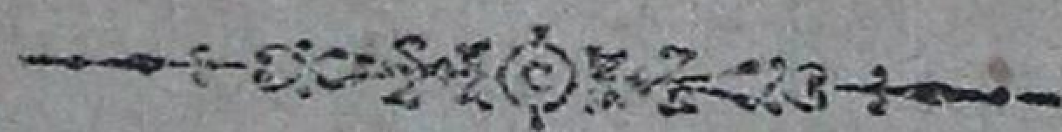
«لابن هلال العسكرى» (١)

انما يحسن الكلام بسلاسته وسهولته وفصاحته وتخير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه اعجازه بهواديه وموافقة مآخره لمباديه فتجد المنظوم مثل المنثور فى سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه . ومتى جمع الكلام بين العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة والرونق والطلاوة وسلم من حيف التأليف وبعد

لابن هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ ﻫ

هو أحد كبار علماء الادب وصاحب كتاب الصناعتين الذى لم يؤلف في بابه مثله وأسلوبه فى كتابه هذا فصيح يدل على أدب جم وذوق سليم

من سماجة التركيب ورد على الفهم الثاقب فقبله ولم يرده وعلى السمع المصيب فاستوعبه ولم يمجه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ والفهم يأنس بالمعروف ويسكن الى المألوف ويصغى الى الصواب ويهرب من المحال وليس الشان فى ايراد المعانى فالمعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى وانما هو جودة اللفظ وصفاؤه . وحسنه وبهاؤه ونزاهته ونقاؤه . وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا مستقيما أما اللفظ فلا يقنع به قانع حتى يكون علي ماوصفناه



دعوي الادب

«للآمدى»(١)

يظهر أن كثيرا من الناس يعتقدون ان الشعر منفرد من بين سائر الاشياء بجواز العلم به لكل أحد والحكم عليه لكل ناظر لانا نرى أن الذى يعلم منهم من العين والورق والرقيق والخيل والسلاح والبز والطيب اكثر مما يعلم من الشعر لايتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته اياها في المعرفة بتلك الاشياء لأنه يرى الفرس فيعجبه ملاحة سببه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وصحة قوائمه وسلامة أعضائه وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة ولكنه لايقدم على ابتياعه حتى يشاور في أمره

---

(١) الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ ه

هو ابو القاسم الحسن بن بشر الامدى أحد نقدة الكلام المشهورين وكتابه الموازنة بين أبى تمام والبحترى من أفضل الكتب الادبية فى دقة النظر وعلو الاسلوب وحسن الاعتدال

أصحاب البصر به ويرى السيف فيبهره منه جلاؤه وصقاله
وصفاء حديده ولكنه لا يمضى فيه اختياره حتى يعتمد على
من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه ويريد
ابتياع ثوب الوشى فيروقه منه حسن طرزه وكثرة صوره
وبديع نقوشه واختلاط ألوانه فلا يبادر الى اعطاء ثمنه حتى
يرجع الى أهل العلم بجوهره وجودة رقعته وصحة نسجه
وخلاص ابريسمه ولكنه لايجرى على هذه القاعدة في
الشعر لانه ربما سمع القصيدة فأعجبه منها حسن وزنها أودقة
معانيها أو مااشتملت عليه من مواعظ وآداب وحكم وأمثال
فيتعجل بالحكم لها على سواها قبل أن يرجع الى من هو
أعلم منه بالشعر واستواء نظمه ووضع ألفاظه فى مواضعها
وغير ذلك من الانظار الدقيقة التى لايدركها الا أرباب
الصناعة . وكما أنه قد يكون الفرسان سليمين من كل عيب
موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون
احدهما أفضل من الآخر بفرق لايعلمه الا أهل الخبرة
والدراية الطويلة وتكون الجاريتان بارعتين فى الجمال

سليمتين من كل عيب فيفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى
يجعل في الثمن بينهما فضلا كبيرا بدون أن يقدر على عبارة
توضح وجه ذلك الفرق وانما يعرفه بطبعه وكثرة دربته
وطول ملابسته فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان
النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ان كان
معناهما واحدا وأيهما أجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا
وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحى وأبو على
دعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى
قال : قال لى المعتصم أخبرنى عن معرفة النغم وبينها لى فقلت
ان من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة
قال وسألنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر
أحدهما فاخترت فقال من أين فضلت هذا على هذا وهما
متقاربان فقلت لو تفاوتا لامكننى التبيين ولكنهما تقاربا
ففاضلت بينهما بشئ تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان
وقيل لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشئ من الشعر وتقول
هو ردىء والناس يستحسنونه فقال اذا قال لك الصيرفى

ان هـذا الدرهم زائف فليس بنافعك قول غيره انه جيد .
فمن سبيل من عرف بكـثرة النظر في الشعر والارتياض
فيـه وطول الملابسة له ان يقضى له العلم بالشعر والمعرفة
بأغراضه وأن يسلم له الحكم فيه ويقبل منه مايقوله ويعمل
على تمثاله ولا ينازع في شيء من ذلك اذ كان من الواجب
أن يسلم لاهل كل صناعة صناعتهـم ولا يخاصمهم فيها
ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظرا في الخبرة وطول الدربة
والملابسة واعلم أيها السائل المتعنت ان هذا الذى تسائله
وتلاحيه ليس فى وسعه ان يجعلك فى العلم بالصناعة كنفسه
ولا يجد سبيلا الى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده
ومن هو أخص به ولا أن يأتيك فى ذلك بعلة قاطعة ولا حجة
باهرة وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت
عنه سؤالا مستقيما . على أن العلم الذى لا يستقر فى الذهن
الا بالروية والمشاهدة وطول الملابسة لا يمكن أن ينتقل الى
ذهن آخر بمجرد القول والصفة الا اذا استطاع صاحب
البصر بالسيوف أن يصف لك عشرة آلاف سيف مختلفات

الاجناس والجواهر بحيث يجعلك مشاهدا لها كلها فى لحظة
واحدة عالما بكل علة محيطا بكل حجة وهذا محال غير ممكن
لاحد ولا مستطاع الا لخالق الخلق وبارئ البشر . وبعد
فلعل الذى غرك فى دعواك المعرفة بالشعر والقدرة على الحكم
فيه ان عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين
الشعراء تتصفحها أحيانا وتحفظ منها القصيدة أو القصائد
وفاتك أنك لم تغتر هـذا الاغترار فيما يتعلق بثياب بدنك
وأثاث بيتك وطرق نفقتك لانا نراك لاتبتاع وشيا ولا آلة
ولا تصرف دينارا بدرهم ولا درهما بدينار حتى ترجع الى من
يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك مخافة أن تفجع
فى مالك فكان خليقا بك أن تسلم امر الشعر الى أهله مخافة أن
تفجع في عقلك ومصيبة الغبن فى العقل اكبر من مصيبة
الغبن فى المال . أو لعل الذى غرك فى ذلك أنك شارفت
شيئا من تقسيمات المنطق وجملا من الكلام والجدل أو
علمت أ[illegible] ابا من الحلال والحرام أو حفظت صدرا من اللغة
او ا[illegible] يها رأ[illegible] على بعض مقاييس العربية فظننت أن كل ما لم

تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى وانك متى
تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت
عن معانيه وفاتك أن العلم بجميع أنواعه لايدركه طالبه الا
بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على
معرفة أسراره وغوامضه وقد يتأتى جنس من العلوم
لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لأن كل
امرىء انما يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما في طاقته تعلمه
فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك وتقنع بما
قسم لك ولا تتعدى الى ما ليس من شأنك ولا من
صناعتك



لف

مناظرة

(بين صاحب أبي تمام وصاحب البحتري) [(١)]

« للآمدي أيضا »

(صاحب أبي تمام) كيف يجوز لقائل أن يقول ان البحترى أشعر من أبى تمام وعن ابى تمام اخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى حتى قيل الطائى الاكبر والطائى الأصغر

(صاحب البحترى) اما الصحبة له فما صحبه ولا تتلمذ له ولا روى ذلك احد عنه ولا نقله ولا رآى قط أنه محتاج اليه ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعهما و تعارفهما عند ابى سعيد محمد بن يوسف الثغرى وقد دخل عليه البحترى بقصيدته التى أولها * أأفاق صب من هوى فأفيقا * وأبو تمام حاضر فلما أنشدها علق ابو تمام منها ابياتا كثيرة فلما فرغ من الانشاد أقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال ايها

---

(١) * الظاهر أن الآمدى فرض هذه المناظرة فرضا ليمثل فيها رأى المتشيعين لذينك الشاعرين

الامير ماظننت ان احدا يقدم على ان يسرق شعرى وينشده
بحضرتى حتى اليوم ثم اندفع ينشد ماحفظه حتى أتى على
أبيات كثيرة من القصيدة فبهت البحترى ورآى أبو تمام
الانكار فى وجه ابى سعيد فحينئذ قال له ابو تمام ايها الامير
والله ما الشعر الا له وانه أحسن فيه الاحسان كله واقبل
يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ولم يقنع من محمد بن
يوسف حتى اضعف له الجائزة فمن كان يقول مثل هذه
القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه قبل ان يعرف
أبا تمام جدير به ان يستغنى عن ان يصحبه أو يتتلمذ له أو
لغيره من الشعراء. على اننى لا انكر انه استعار بعض معانى
ابي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى
من شعره وليس ذلك بمقتض ان يكون ابو تمام استاذ
البحترى ولا بمانع ان يكون البحترى اشعر من ابي تمام
فهذا كثير قد أخذ من جميل واستقى من معانيه فما رأينا
أن احدا قال ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر
والرواية اشعر من جميل

(صاحب ابى تمام) ان البحترى نفسه يعترف أن أباتمام أشعر منه فقد سئل عنه وعن أبي تمام فقال ان جيده خير من جيدى وجيد أبى تمام كثير

(صاحب البحترى) ان كان هذا الخبر صحيحا فهو للبحترى لا عليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر ابى تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وانتم على ان ابا تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحترى يعلو بتوسط ولا يسقط ومن لا يسقط ولا يسف[1] افضل ممن يسقط ويسف

(صاحب ابى تمام) ان ابا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا واماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا اثره وهى فضيلة عرى عن مثلها البحترى

(صاحب البحترى) ليس الامر على ماوصفت وليس

---

(١) أسف انحط

ابو تمام صاحب هذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق اليه بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد واحتذى حذوه وافرط في ذلك واسرف حتى زال عن النهج المعروف والسنن المألوف بل ان مسلما غير مبتدع له ولكنه رأى هذه الانواع التى وقع عليها اسم البديع متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره منها ولكنه حرص على ان يضعها فى مواضعها ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه حتى قيل انه اول من اقسد الشعر فجاء ابو تمام على اثره واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى استكراها ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع ابى تمام لهذا المذهب وسبقه اليه وكل مافى المسئلة انه استكثر منه وافرط فكان افراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر عيوبه . اما البحترى فانه مافارق عمود الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ماجاء في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة فكان انفراده بحسن العبارة

وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سببا في اجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله. ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته واضطلاعه بما يلائم الاذواق ويلامس القلوب من اساليب الكلام ومناهجه.

(صاحب ابى تمام) انما اعرض عن شعر ابى تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه اما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه

(صاحب البحترى) لا يستطيع احد ان ينكر منزلة ابن الاعرابى واحمد بن يحيي الشيبانى ودعبل بن الخزاعى من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب وقد علمتم مذهبهم في ابى تمام وازدراءهم بشعره حتى قال دعبل ان ثلث شعره محال [1] وثلثه مسروق وثلثه صالح وقال ما جعل الله أبا تمام من الشعراء بل شعره بالخطب والكلام المنثور اشبه منه

---

(١) المحال الفاسد

بالشعر وقال ابن الاعرابى فى شعر ابى تمام ان كان هـذا
شعرا فكلام العرب باطل وهذا محمد بن يزيد المبرد ماعلمناه
دون له كبير شئ

(صاحب أبى تمام) ان دعبلا كان يشنأ ابا تمام ويحسده
على ماهو معروف ومشهور فلا يقبل قول شاعر فى شاعر
وأما ابن الاعرابي فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه
ولأنه كان يرد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه فكان
اذا سئل عن شئ منها يأنف أن يقول لا أدرى فيعدل الى
الطعن عليه ولا مانع أن يكون جميع ماتذكرونه على هذا
القياس

(صاحب البحترى) لا عيب على ابن الاعرابى فى طعنه
على شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى
الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة والعيب
فى ذلك يلحق أبا تمام اذ عدل عن المحجة الى طريقة
يجهلها ابن الاعرابى وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية

(صاحب أبي تمام) ان العلم فى شعر أبي تمام أظهر

منه فى شعر البحترى والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم

(صاحب البحترى) كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا وكان الاصمعي شاعراً عالما وكان الكسائى كذلك وكان خلف بن حيان الاحمر أشعر العلماء وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء والتجويد في الشعر ليست علته العلم والشائع المشهور أن شعر العلماء دون شعر الشعراء وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب

أما البحترى فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعده فضيلة ولا يراه علما بل كان يري انه شاعر لابد له ان يقرب شعره من فهم صاحبه فلا يأتى بالغريب الا أن يتفق له في اللفظة بعد اللفظة فى موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه . على أن هذا العلم الذى تؤثرون به أبا تمام لم ينفعه فقد كان يلحن في شعره لحنا يضيق العذر فيه ولا يجد المتأول له مخرجا منه الا بالحيلة والتحمل الشديد

(صاحب أبي تمام) لسنا ننكر أن يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره وعدل عن الوجه الاوضح في كثير من معاليه وغير غريب على فكر نتج من المحاسن مانتج وولد من البدائع ماولد أن يلحقه الكلال فى الاوقات والزلل فى الاحيان بل من الواجب لمن أحسن احسانه أن يسامح فى سهوه ويتجاوز له عن خطئه وما رأينا أحدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب وكذلك ماأخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ واللحن أشهر من أن نحتاج الى ان نبرهنه أو ندل عليه وما كان احد من اولئك ولا هؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفا احسانهم على اساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم

(صاحب البحترى)أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة ابيات يكون فيها مفسدا أو محيلا او عادلا عن

السنن او مستعيرا استعارة قبيحة او مخطئا للمعنى بطلب الطباق والتجنيس او مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم ولا يوجد له مخرج

(صاحب أبى تمام) انكم تنكرون على أبى تمام من الفضل ما يعترف به البحترى نفسه فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره

(صاحب البحتري) لم لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين واخوين متصافيين يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب فليس بمنكر ولا غريب ان يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفه بأحسن مافيه وينحله ما ليس فيه على ان الميت خاصة يعطى فى تأبينه من التقريظ والوصف وجميل الذكر أضعاف ما كان يستحقه

(صاحب أبى تمام) كيفما كان الامر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء ان جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله واذا كان جيده بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب فى انه

أشعر شعراء عصره والبحترى واحد منهم

(صاحب البحتري) انما صار جيد ابى تمام موصوفا ومذكورا لندرته ووقوعه فى تضاعيف الردئ فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه وجيد البحترى كجيد ابى تمام الا أنه يقع فى جيد مثله او متوسط فلا يفاجئ النفس منه مايفاجئها من جيد صاحبه



فصاحة جعفر بن يحيى

«لبعض الكتاب المتقدمين»

كان جعفر بن يحيى أنطق الناس قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة والافهام الذى يغنى عن الاعادة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عنها وما رأيت أحدا لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه ولا أشد اقتدارا ولا اقل تكلفا من جعفر بن يحيى



حقيقة البيان

«لبعض الكتاب المتقدمين»

ان المعانى القائمة في صدور العباد المتصورة فى أذهانهم والمختلجة فى صدورهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة . لايعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره وعلى مالايبلغه من حاجات نفسه الا بغيره . وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجلبها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا والغفل[1] موسوما . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون ظهور المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح

---

(١) الغفل مالا علامة فيه

وكانت الاشارة ابين وانور كان انفع وانجع . والبيان اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن اى جنس كان ذلك الدليل لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شيء بلغت ذلك فذلك هو البيان



فصاحة القرآن

« للباقلانى »[١]

ان نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلام العرب ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله اسلوب يختص به ويتميز فى تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التى يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم الى أعاريض الشعر على اختلاف انواعه ثم الى انواع الكلام الموزون غير المقفى ثم الى اصناف الكلام المعدل غير المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ثم الى مايرسل ارسالا فيطلب فيه

---

(١) « الباقلانى » المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية

هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب كان معروفاً بالجدل وقوة الحجة ورسوخ القدم فى علم الكلام والبراعة والتفوق فى الفصاحة والبيان ومن قرأ كتابه إعجاز القرآن ظن أنه يقرأ أسلوب الادباء المعربين لا المتكلمين المعجمين

الاصابة والافادة وافهام المعانى المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيه بجملة الكلام الذى لايتعمل ولا يتصنع له . والقرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق فضلا عن انه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعانى اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكمة الكثيرة والتناسب فى البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما تنسب الى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعمل والتكلف والتجوز والتعسف وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به . فقال ألله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . ذلك الى ماتراه من أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على مايتصرف اليه من الوجوه

التى يتصرف اليها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج
وحكم واحكام واعذار وانذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف
وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة
وغير ذلك من الوجوه التى يشتمل عليها ونجد كلام البليغ
الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب
اختلاف هذه الامور فمن الشعراء من يجود فى المدح ومنهم
من يسبق فى التقريظ دون التأبين ومنهم من يجوّد في التأبين
دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الابل أو الخيل
أو سير الليل أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف
الخمر أو الغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله
الكلام ولذلك ضرب المثل بامرىء القيس اذا ركب والنابغة
اذا رهب وزهير اذا رغب وهم قوم لا خلاف فى تقدمهم فى
صنعة الشعر ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم . ومتى
تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت فى شعره على
حسب الاحوال التى يتصرف فيها فيأتى بالغاية فى البراعة
فى معنى فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان

الاختلاف فى شعره ثم نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد أصلا ومنهم من ينظم القصيد ولكنه يقصر فيه مهما تكلفه أو تعمله ونجد من الناس من يجود فى الكلام المرسل فاذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ومنهم من هو على الضد من ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التى ذكرناها على حد واحد فى حسن النظم وبديع التأليف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا اسفال فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك قد تأملنا ما تتصرف اليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الاعجاز فى جميعها على حد واحد لا يختلف وهناك شىء آخر هو خير ما يؤتى به للدلالة على بلوغ الفصاحة في القرآن منزلة الاعجاز وهو ان ورود تلك المعاني الغريبة التي يتضمنها فى أصل الشريعة والاحكام والاحتجاجات فى أصل الدين والرد على الملحدين بهذه الاساليب البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على العرب مجاراته فيه لأنها معان غريبة

غير مطروقة وقد علم ان تخير الالفاظ للمعانى المتداولة المألوفة
والاسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الالفاظ
لمعان مبتكرة وأسباب مؤسسة مستحدثة وبراعة اللفظ
فى المعنى البارع أعجب من براعته فى المعنى المتداول المتكرر
وللقرآن مزية أخرى غير ماتقدم وهى انه من المقرر المعروف
أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه
الكلمة فى تضاعيف كلام أو تقذف مابين شعر فتأخذه
الاسماع وتتشوف اليه النفوس ويرى وجه رونقه باديا غامرا
سائر مايقرن به كالدرة التي ترى فى سلك من خرز وكالياقوتة
وسط العقد وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها فى
تضاعيف كلام كثير فاذا هي غرة جميعه وواسطة عقده
والمنادي على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله وانفراده
وبعد فانك تجد فى كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة
عليك فى منظر بهيج ومعرض رشيق ونظم أنيق غير
متعاص على الاسماع ولا ملتو على الافهام ولا مستكره فى
اللفظ يمر كما يمر السهم . ويضيء كما يضيء الفجر ويزخر كما

يزخر البحر . طموح العباب . جموح على الطارق المنتاب . كالروح فى البدن والنور المسبطر (١) في الافق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

---

(١) المسبطر الممتد



اعجاز القرآن

« للقاضى عياض »[1]

ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها فى اربعة وجوه. أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان. ومن فصل الخطاب مايقيد الالباب. جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة. وفيهم غريزة وقوة. يأتون منه على البديهة بالعجب. ويدلون به الى كل سبب. فيخطبون

---

(١) القاضى عياض

هو القاضى أبو الفضل عياض بن موسى السبتي نسبة الى مدينة سبتة كان اماما فى الحديث والفقه وكاتبا من أوائل الكتاب وكتابه الشفاء فى السيرة المحمدية لم يؤلف مثله فى موضوعه من حيث بلاغة عبارته وجمال اسلوبه

بديها فى المقامات والخطب . ويرتجزون بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون . ويتوسلون ويتوصلون : ويرفعون
ويضعون . فيأتون من ذلك بالسحر الحلال . ويطوقون
من أوصافهم أجمل من سمط اللآل . فيخدعون الالباب
ويذللون الصعاب . ويذهبون الاحن . ويهيجون الدمن
ويجرءون الجبان . ويبسطون يد الجعد البنان . ويصيرون
الناقص كاملا . ويتركون النبيه خاملا . منهم البدوى ذو
اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم . والطبع
الجوهرى . والمنزع القوي . ومنهم الحضرى ذو البلاغة
البارعة . والالفاظ الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع
السهل . والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق
الرقيق الحاشية لايشكون ان الكلام طوع مرادهم .
والبلاغة ملك قيادهم . قد حووا فنونها . واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من ابوابها . وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها
فقالوا في الخطير والمهين . وتفننوا فى الغث والسمين .
وتقولوا فى القل والكثر . وتساجلوا في النظم والنثر . فما

راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . أحكمت آياته
وفصلت كلماته . وبهرت بلاغته العقول . وظهرت فصاحته
على كل مقول . وتضافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته
ومجازه . وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه . وحوت كل
البيان مجامعه وبدائعه . واعتدل مع ايجازه حسن نظمه .
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم أفسح ما كانوا
في هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة رجالا . وأكثر فى
الشعر والسجع ارتجالا . وأوسع فى الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التى بها يتحاورون . ومنازعهم التى عنها يناضلون .
فما زال صارخا بهم فى كل حين . ومقرعا لهم على رؤوس
الملأ أجمعين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين

الشعراء المحدثون

قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال ان جد أحسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من أين أخذه. قلت فبشار بن برد قال نظار غواص مطيل مجيد يصف مالم ير كأنه رآه على أن فى شعره خللا كثيرا. قلت فمروان بن أبى حفصة قال شاعر راض عن نفسه يستحسن كلما جاء منه معجب لايرى أن احدا يتقدمه كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة قلت فمسلم بن الوليد قال خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزند يورى تارة ويصلد اخرى. قلت فأبو العتاهية. قال غثاء[1] حم واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج وربما أشبه الياقوت والزبرجد. قلت فعباس بن الاحنف قال يلقى دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا والحمأة[2] أحيانا على أن كدره أكثر من صفوه. قلت فسلم الخاسر قال مقل

---

(١) الغثاء الزبد

(٢) الحمأة الطين الاسود

مداح شعره ديباج وعهن يموه الردئ حتى يشبه الجيد .
قلت فأبو الشيص قال جده كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة
التى نفضت ففيها المستعذب والمستبشع . قلت فعلي بن جبلة
قال بحاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة
القدماء ويجل عن منزلة النظراء . قلت فأبو تمام قال سيل
كثير الغثاء غزير الغمار جم النطاف [١] فاذا صفا فهو
السلاف بالماء الزلال . قلت فعبد الصمد بن المعذل قال خراج
ولاج يعتسف تارة ويهتدى اخرى . قلت فعلى بن الجهم
قال كلام رصين ومسلك وعر عقله أغلب على شعره من
طبعه . قلت فبكر بن النطاح قال تشبه بالاعراب فأفرط
وتجاوز حد المولدين فأسهب فهو الساقط بين القريتين

(١) النطاف الماء الصافى

نظرات المنفلوطى

«لأحمد بك لطفى السيد» [١]

يكتب الكاتبون عندنا وفى البلاد الاخرى فيقع بعضهم على بعض فى كيفية استحضار الافكار وصوغ العبارات وفى الاسلوب الكتابى الى حد يختلط فيه أمرهم وتفنى به شخصيتهم فلا تكاد تفرق بين أحدهم وبين الآخر الا باختلاف الاسم . وهذا الصنف من الكتاب فى كل امة كثير وكتاباتهم اكثر ولكن الزمان نقاد غير متسامح لا يبقى فى كفه من تلك الاسفار الكثيرة الا القليل

---

١) «أحمد بك لطفى السيد»

هو من أعلم الكتاب فى هذا العصر بالاخلاق - والاجتماع والحكمة ومن أقدرهم على الحجة التي لا يشوبها كذب ولا تخييل وله فى كتابته صفة خاصة به منشؤها أنه يصدر فيما يكتب عن رأى نفسه وقلمه أطهر الاقلام وابعدها عن الهجر والعيب ولو أمكن أن يخلو قلم كاتب من كل عيب لخلا قلم لطفى السيد من الاساليب الافرنجية التى يستعملها أحيانا

ومن الكتاب من هو ضنين بشخصيته لا يدعها تتلاشى فى بيئة الكتاب . لا يتكلف تقليد شيخ من أشياخ الكتابة ولا يكتب للكتابة . بل لا يكتب الا اذا قامت بنفسه أغراض واضحة يجب أن يبرزها للناس فى الثوب الذى يناسبها على تفصيل مودة الاذواق الحاضرة وحسبما يقتضيه الفصل الزمنى للأفكار . وكتاب هذا الصنف قليلون عادة فى كل أمة وفى كل جيل الا أن كتاباتهم على قلتها هى المربي الوحيد للأمم والعلل الاولى التى تدفعها الى الأخذ بكل نوع من أنواع الرقى والنجاح . وهى خير اللغات وأبقاها .

من أشياخ البيان عندنا السيد مصطفى المنفلوطى . أكاد لا أجد له في طريقته مثيلا بين كتابنا فانه يمتاز بالمساواة وقل من يعرف المساواة . يمتاز باستعمال ألفاظ الخصوص فلا يلبس معنى الا لفظه الذى يكاد لا يشاركه فيه معنى آخر يطرق الموضوعات الصعبة البعيدة فيقربها من القارىء ويجعله يظن انها من مألوفاته ولم تكن كذلك من قبل

أقول من غير محاباة وفي يدي نظرات المنفلوطي ان السيد مصطفى هو الثمرة الناضجة للعصر الكتابي الحاضر جمع بين أفكار التمدن واسلوب العرب الاصيل فكان كتابه النظرات بذلك احدى المعجزات عند من يظنون ان الغرب غرب والشرق شرق وأنهما لا يزالان كذلك ما بقي البعد بين مطلع الشمس وبين مغربها

أنصح للشبيبة أن تجعل نظرات السيد المنفلوطي كتاب مطالعتهم وأنصح للناشئة أن يحفظوا منه ما استطاعوا فان هذا الكتاب خير مرب لملكة الانشاء



كلمة فى التعريب [1]

« لحافظ أفندى ابراهيم »

هذا كتاب البؤساء وهو خير ماأخرج للناس في هذا العهد . وضعه صاحبه وهو بائس . وعربه معربه وهو بائس فجاء الاصل والتعريب كالحسناء وخيالها فى المرآة . وضعه نابغة شعراء الغرب وهو فى منفاه . وعربه كاتب هذه الاسطر وهو فى بلواه

ولولا أننى أشرب بالكأس التى كان يشرب بها ذلك الرجل العظيم لما وصل مبلغ علمى الى مبلغ علمه . ولما سبح يراعى فى قطرة من سيول قلمه . ولو أن لى قلما من أعواد أشجار الجنة وصحيفة من صحف ابراهيم وموسى وقد تلقتنى البلاغة من كل جهة بفضلها فسموت الى لباب مصاصها [2] وأخذت منها حاجتى لما حدثتنى النفس بتعريب ذلك الكتاب لولا اتحادنا فى الالم وتشابهنا فى الشقاء

---

(١) هذه الكلمة هي مقدمة كتاب البؤساء

(٢) مصاص الشئ خالصه اوسره

فلقد كنت أنظر فيه نظرة المنجم في الميقات .
وأستوزع الله بيان تلك المعجزات . حتى اذا نفذ النكر الى
ماوراء سطوره واهتدى الخاطر الى مكامن حكمه دعوت
الى أم اللغات وعملت على التوفيق بين هذه الغادة الشرقية
وتلك الفتاة الغربية . وعمدت الى مد صلة النسب بين
الغادتين التى انتهت اليهما بلاغة العرب وبلاغة الافرنج فاذا
شمست [١] احداهما وازور جانبها أغريت بها سلطان العقل
فلا يزال بها يروضها كما يروض الراكب الصعبة حتى تسكن
الى أختها وترتاح الى جوارها . ولم تزل تلك حالى أدخل
بينهما دخول المرود بين الجفن والجفن وأمشى بينهما مشية
الحكيم في الصلح بين القوم والقوم . حتى ائتلف الذوقان
وامتزج الروحان . وضمت شمسيهما طفاوة [٢] واحتوت
بدريهما هالة وخلعت الاولى على الثانية جلالها وأعارتها
الثانية نضارتها وجمالها . وأصبحت تلك المعانى الافرنجية

---

(١) شمس امتنع وأبى

(٢) الطفاوة الدارة حول الشمس أو القمر

بعد أن صقلها اللسان المبين وجندرها الذوق الشرقى وهى
تسكن فى هذه المعانى العربية

ولم يقع للناطقين بالضاد حتى اليوم شىء من مؤلفات ذلك
الحكيم وهم أحوج الناس الى معرفة اسرار الحياة والانتفاع
بمثل ذلك الفكر الذى كنت بينا أراه يسابح الاجرام فى
أفلاكها اذا هو يدارج النمال في مدابها وبينا ألمحه بين ذروة
العلم وشرفة القصر . اذا هو بين قاع البحر . وعقيق النهر
فكم أفلت من هجيره . واختبأ فى خميله . فمن تلهب جمرة
القيظ في صميم القائلة الى تراوح النجم في الروضة ومن
التردد بين زفير العاشق وحرقته . الى التمشى بين نفس
الحبيب وريقته

ولا يزال الكتاب فى كل أمة يلتمسون أن يعقل عنهم ما ألهموا أن يدخلوه فى مؤلفاتهم من الحكم والامثال فيصدحون عنها الشرور بأقلامهم كما يصدح [١] المطر ويستهبطون الحكمة من سمائها فيسكنونها بين سطورهم وينشدون لذلك الامثال فينثرونها فيما يتخيرونه من الاقاصيص التى تدعر الى العظة وتصفح [٢] النفوس عن ركوب سبل الغواية

ومن تلك الاقاصيص ذلك الكتاب الذى أعانى تعريبه اليوم فلقد قص علينا صاحبه أحسن القصص فكان مثله فيه كما قال عن نفسه مثل المنجم الذهبى لاتصل الايدى الى تبره حتى تكاد تحصى ثراه عدا

---

(١) أخرجها مثلا وكان من وساوس العرب اذا خشوا سقوط المطر أن يعمد احدهم الى خيمته أو عطنه فيرسم حولها دائرة ويتلو رقية يعملها رجاء أن يخطىء المطر فى سقوطه مايكون ضمن تلك الدائرة . وقد كانت هذه الصدحة مما استعان به المتنبي على تأييد دعواه فى النبوة (٢) صفحه عن حاجته رده

وقد خار الله لى[1] أن أعربه فاستعنته فأعاننى واستهديته فهدانى وسلخت اثنى عشر هلالا في تعريب تلك الصفحات التى ترونها اليوم . وحاولت أن أصل بها تلك الرحم التى قطعتها يد الترجمة التجارية بيننا وبين أولئك الرجال الذين تجردوا لتعريب أساطير الاولين فوفوها قسطها من الاتقان وألبسوها من البهجة لباسا ترضاه اللغة ويرضاه أبناؤها

أرأيتك أيها الناظر فى كتاب كليلة ودمنة؟ أكان يقوم بنفسك وأنت تذوق حلو تركيبه وتستمرئ لذة أسلوبه ان عبد الله بن المقفع قد عربه عن الفارسية لو لم يصل خبر ذلك اليك ! فسقيا لتلك الاقلام التى عربت فأعربت . وسطرت فأعجبت. وواها لهذه اللغة التى أصبحت بين أعجمى ينادى بوأدها . وعربى يعمل على كيدها

ومن نظر في بطون تلك الكتب التى تترجم اليوم

---

(١) يقال خار الله له فى الامر اذا جعل له فيه خيرا

رأى هذه الغادة الشرقية وهى على فراش موتها تندب خدرا قد ابتذلته الاقلام . وسترا قد هتكته الاوهام وقدفتحوا لها في بطون هذه الكتب قبورا وخاطوا لها من تلك الصحف أكفانا وهيأوا من هذه الاقلام أعوادا. وماهو الا أن يثنى ذلك الغربي بدعوته حتى يسرع الى جنازتها أهلها وذوو قرابتها

اللهم أنت تعلم أننا نعلم موضع الداء وفينا الطبيب الماهر ، ونسمع ذلك النداء ومنا المعين الناصر . اللهم ان هذا خذلان منك فأدركنا برحمتك وهيئ لنا من أمرنا رشدا

أيكون بين أبناء اللسان العربى مثل من أرى اليوم من فحول البلاغة وملوك الكلام وأنا لا أعرف من هذه الزهور قديمها وحديثها غير أسماء معدودات .. ولا أكاد أجيد وصف قصر من القصور أو آلة من الآلات . ومخترع من المخترعات . الا ماوقع تحت نظر العرب في تلك الجزيرة الجرداء . وما سمت اليه حضارتهم فى عهد

الدولة الاندلسية . أى رجل كان صاحب كتاب البؤساء وأى غيث سقاه وجو حواه حتي أدخل فى لغته من الكلمات مايخطئه العد ووقف فى وجوه المعارضين فيها وقفة البسفور فى وجوه الطامعين فى هذه الدولة حتي انقلبوا عنه خاسرين؟ أوليست رجالنا بقادرين على أن يأتوا متساندين بمثل ما أتى به ذلك الرجل وهو وحيد !

تباركت أسماؤك اللهم أيدعى البعير وهو ذلك المركب الخشن بهذه الاسماء التى تضيق عنها بطون الكتب ، وهذه مراكب البخار والكهرباء لا نكاد نجد لاسمائها مرادفا فى هذه اللغة فما عسى أن تكون حالنا بجانب ذلك العربى الذى يقول فى وصف عيشه

الابيضان أبردا عظامى الماء والفت بلا ادام [1]
وهو فوق راحلة ظالع [2] وعلى قتب يكاد يدمى عجانه [3]

---

(١) تقول العرب الابيضان عن الماء والفت والاحمران عن الخمر واللحم

(٢) ظلع البعير غمز فى مشيته

(٣) عجان الرجل ماتحته

تحت شمس تكاد تأكل ظلها فى مفازة
تمشى الرياح بها حيرى مولهة
حسرى تلوذ بأكناف الجلاميد

اذا أردته على ان يصف تلك الراحلة العجفاء فأرهف بالقول وسرد من الوصف مايبلغ حد الاعجاز واردتنا على أن نصف ونحن نستطيب من صنوف الطعام ما يضيق به صدر الخوان ونتبوأ أريكة « الاوتومبيل » تحت ذلك الظل الظليل . فى مخارف [1] ضفاف النيل . على فراش وثير . ومتكأ من حرير . بين نسيم عليل . وماء سلسبيل . ذلك المركب الذلول الذى لا تلحق به صافنات الخيول فوقفنا أمامك موقف الحائر لا نعرف له اسما يدل على مسماه ولا مرادفا فى اللغة يؤدى معناه

نخذوا أيها القادرون على الاصلاح بيد اللغة وانظروا كم أدخل فيها آباؤكم الاولون من كلمة فارسية

---

(١) جمع مخرفة وهى المتنزه

وهذا كتاب الله بين أيديكم يأذن لكم بما ندعوكم
اليه . وهـذا باب الاشتقاق وباب النحت لايزالان بحمد
الله مفتوحين لم يصبهما ما أصاب باب الاجتهاد فادخلوا
منهما آمنين

الشعراء المعاصرون

« لخليل مطران »

اسماعيل باشا صبرى

أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها: أو خبر ذى بال يسمعه أو كتاب يطالعه

ولما كان لا ينظم للشهرة بل لمجاراة نفسه على ما تدعوه اليه فالغالب فى أمره أنه يقول الشعر متمشيا وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه وله بين حين وحين أنة بمثل ما تنطق لفظة ايه مستطيلة

ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة الى أربعة الى ستة وقلما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة وهو نادر

شديد النقد لشعره كثير التبديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب أهمله ثم نسيه

وهكذا يمر به الآن بعد الآن فيجيش فى صدره الشعر فيرسل بيتيه اطلاق زوجى الطائر فيذهبان فى الفضاء ضاربين من اشطرهما بأجنحة ملتمعة شادين على توقيع العروض الى أن يتواريا وينقطع نغمهما من عالم ذلك هو الشعر للشعر النسيان

احمد شوقي بك

ينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم وينظم
في المركبة وفى السكة الحديدية وفي المجتمع الرسمي وحين
يشاء وحيث يشاء . ولا يعرف جليسه أنه ينظم الا اذا
سمع منه بادئ بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد
ثم رأى ناظريه وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين ثم
بصر به وقد رفع يده الى جبينه وأمرها عليه امرارا خفيفا
هنيهة بعد هنيهة

فاذا قوطع فى خلال النظم انتقل الى أى بحث
يباحث فيه حاضر الذهن صافيه جميل البادرة كعادته فى
الحديث

ثم اذا استأنف ذلك المنظوم ولو بعد أيام طوال عاد اليه
كأنه لم ينقطع عنه مستظهرا ما تم منه حافظا لبقية المعنى الذى
يضمره

يكتب القصيدة بعد تمامها وربما تمت ونسيها شهرا
ثم ذكرها فكتبها فى جلسة واحدة

يكلف أحيانا بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه أن يبزهم [1]

لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو في مبنى

فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه ولا ينضب عنده لأنه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ومعارف جامعة الى أفانين الآداب فى لغات الافرنج والاعراب فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ وغرائب السير التى يحفظ منها غير يسير الى مشاركات علمية وتنبيهات فنية استفادها من مطالعته فى صنوف الكتب واتخذها عن ملحوظاته ومسموعاته فى جولاته بين بلاد الشرق والغرب

وأما المبنى فله فيه أذواق متعدد مقامات القول . ترى فيه من نسج البحترى ومن صياغة أبى تمام ومن وثبات المتنبى ومن مفاجآت الشريف ومن مسلسلات مهيار وفى المجموع تجد صفة عامة للنظم وهى أنه نظم شوقى

---

(١) بزه قلبه

ذلك شعر العبقرية والتفوق

حافظ ابراهيم

يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه

ومن عادته دخول حديقة الازبكية بعد الظهر طلبا لتلك

الخلوة ولا يختلط عليه الفكر خلال الضجيج المحيط به

يتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج

مثال جميل من حجره

يؤثر الجزالة على الرقة وله فيها آيات

يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره وربما نظم

أكثر الابيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذي يبدأ

بأصعب مابين يديه آمنا أن تهن عزيمته دون الاجادة بعد

ذلك عالما أن الكلام لابد أن يأتيه فى أي مقام طيعا ولو

بعد حين

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج

على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها وأعلاق حلاها

اذا صب البيت فى قالب من العروض أعاده نغما على

سمعه مستشيرا بذلك ذوقه عن طريق أذنه وطالما صدقته الاذن بنصيحتها . أما تغنيه فبدوى أخذه عن الشيخ عبد المحسن الكاظمى وطريقته أن ينطق بالكلمات ملحنة تلحينا ساذجا من اطالة فى الحروف المعتلة ورجفة في القرار كرة أربعة أنفاس وتقتضب

له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى وفى أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظا على المجاد معنى فاذا فاته الابتكار حينا فى التصور لم يفته الابتكار في التصوير

أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ماشاء

كبير الآمال عاثر الجد تجد على اكثر منظومه أثرا من ألم النفس أو مسحة من الشكوى وتحمل بعض حروفه من بثه ما يلذع لذع النار الكامنة فى غير متقد

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الادب العربى فى مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته واضاءته وأثره الخالد

أما شعره فشعر البيان وان من البيان لسحرا

محمود باشا سامى البارودي

أدركته وقد عاد من منفاه . وكان أول معرفتى به ان زرته مصاحبة لصديقه ومريده الشاعر الناثر محمد بك ابراهيم هلال

دخلنا عليه وهو في صدر مجلسه فحيانا بذلك اللطف الذى كان لا يفارقه الوقار ولا تثبت معه الكلفة وكان لى معه بعد ذلك ود وعهد

واتفق أن جئته ذات يوم وما بيننا ثالث فتطارحنا الشعر وتباحثنا فيه ثم اقترحت عليه بيتين يرتجلهما فاستوى يفكر

استوى ساكنا ساجيا مسندا ظهره الى الحائط . وفكر غير منقبض المحيا ولا معنة الملامح متهللة سماحة وجهه اللامع بأنوار الزوال بين بلج لحيته البيضاء المستديرة وقم الناظرتين السوداوين اللتين تحجبان عينيه

مرت بى وبه دقيقة وهو متمكن فى تأمله وأنا مسترسل

.

مع خاطر أخطرته فى قلبي رؤية الرجل على هذه الحال .
نخيل لى أننى لدي تمثال من تلك التماثيل التى أقامها صناع
اليونان لبعض المتقدمين من حكمائهم وتبدلت في ذهنى
الناظرتان السوداوان بالظلمين اللذين يحيطان بالعيون المطبقة
في تلك التماثيل

وعاد الى وهمى استطراقا قوة ما أبدعوه فى تلك
الانصاب حتى أعاروا باتقانهم أعلام الانسان بارقة من
بوارق الالوهية

وبينما انا مستغرق الحواس بتلك الذكري اذ تحرك
الرجل تحرك من يعالج معنى مستصعبا فتنبهت تنبه دهشة
كانى بالتمثال وقد تحرك

وفي تلك الوهلة تصورت لأول مرة أن الرجل وذلك
رسمه وتلك بشرته البيضاء ليس بعربي التبعة وقضيت عجبا
لآية البيان التى تنتفى عندها فروق الاصول والفروع والامكنة
والازمان

أما شعره فهو بجملته صناعة لاتنافس بقديم أوحديث

مع ابتكار قليل واخساس فياض

اختار له أحسن أساليب العرب وأفصح ألفاظهم وتغنى بها على وحى نفسه - ونفسه جارية النغمة وعاشقة الايقاع - فافتن حتى أنسى الفن وجوّد حتى أذهل عن المعنى

فمثل قارئه مثل سامع المنشد البارع لا يبتئس حين يلتبس عليه فهم الالفاظ اذا استمر النغم على نظامه واتقانه بل يستمر في طربه ويترقى فيه الى ان يخلق لنفسه شجوناً حيث تفوته شجون الاقوال المنشدة

ذلك كان مذهبه فى الشعر وتلك غايته منه . ولا ننسى له فضلا جديراً بالذكر الخاص وهو انه اول شعراء البعثة الحديثة بمعنى انه اول من رد الديباجة الى بهائها وصفائها القديمين . وما أبز قريضه لقريض جيله . فانك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً الى عهد ارقى ازمنة العرب فهى كالجبال الشامخة وحولها القصائد الاخر كالاركان المقامة من حجارة اطلال بلا اختبار ولا نسق ولا هندام

الخلاصة ان المرحوم البارودى كان في الطبقة الاولى

بين شعراء العرب وكان قلبه كلفاً بالنغمة وذهنه منصرفاً الى الصناعة كما يدل على ذلك منظومه وكما يشير اليه اختياره من اقوال المتفوقين . فانه لم ينتق منها الا كل ما حسن لفظاً ومعنى او حسن لفظاً واهمل ما حسن بمعناه دون مبناه

فشعره انما هو شعر الصناعة والايقاع

الشيخ ابراهيم اليازجى

هو استاذى بعد المرحوم اخيه الشيخ خليل . قرأت عليه أخريات الصحف فى كتب البيان المتداولة يومئذ في المدرسة البطريركية ببيروت وذلك ان اخاه كان قد اصيب بالعلة التى مات بها فحل هو محله الى نهاية تلك السنة التى كانت آخر عهدى بطلب العلم في المدرسة

راعنى الشيخ بكمال سيرته ورجاحة عقله وسعة معارفه واحاطة خبرته بالناس فلزمته لزوم المتأدب والمريد زمناً طويلا ولا أبالغ بقولى انه اذا كان الانسان فى ظاهره وباطنه لا يخلو من العيوب فقد كان الشيخ من أقل الناس عيوبا بل أقول ولا أبالى عاقبة التصريح على سمعته ان كل ما تمنيت

على الله ان يزيده في مناقبه ومحامده هو خلة العفو . فلقد كان منتقماً لشرفه وشرف بيته . ينتقم مدافعاً لا مبادئاً واذا ضرب ضرب بتؤدة وتبصر ناظراً الى المقاتل وقلما تصدى لخصم الا تركه صريعاً أو جريحاً جرحاً مشفياً (١)

على انه لم ينبر مرة لاحد الا عن عدل وحق

كان للشيخ مذهب عام في شعره ونثره وسائر مايتولاه من الاعمال وهو مذهب الاتقان

لا يخلق جديداً ولكنه يتقن ما يصنعه الى حد انك تعزوه اليه وتعرفه بطابعه

ولهذا لم ينظم مرتجلا . ولم يكتب الا محتفلا (٢)

زرته أحياناً وهو يصنع آباء الحروف المطبعية المتداولة الآن في مصر والشام وكان ينحتها من الفولاذ

وزرته أياماً وهو يضرب العود ويضع للانغام العربية علائم خاصة بها كالعلائم التي تقرأ بها الانغام الافرنجية

---

(١) يقال اشفى المريض على الموت اذا قاربه

(٢) احتفل بالامر احسن القيام به

وزرته مراراً وهو قد فكك قطع ساعته بعضها من بعض ليصلحها وزرته آونة يعالج الرسم الشمسى وآونة أخرى يرسم بالقلم الفحمى صديقا له

وزرته فى الاكثر وهو ينظم أو ينثر واقفاً تجاه منضدة — كذلك كان شأنه — والصحيفة أمامه على درج مائل

ففى كل هذه الاحوال كنت أجده على مثال واحد من شدة التفكير والتدبير وبطء الحركة وجمود المحجرين مع غرابة السطوع فى انسانيهما حتى لتكاد تحس بانبعاث الاشعة منهما متجمعة

كان أثناء نظمه لا يتقلقل من مكانه الا لمراجعة كتاب وتحقيق لفظة والتحقيق خلة لم تبلغ من باحث أو عالم مبلغها منه اذا نظم البيت خطه ذلك الخط الجميل المصوغ صياغة الجمان الدقيق . وقد يقلب الصحيفة فى يده كأنه يريد أن يرى فى سياق البيت واختيار مفرداته مثلما يراه من الجمال فى رسم حروفه وهكذا الى أن يتم القصيدة

فاذا أتمها واطلعت عليها رأيت فيها من المتانة ووضع

الكلم فى مواضعها وفصاحة الاسلوب وسلامة التركيب والجزالة أو الرقة كل فى المكانة اللائقة لها وتجافى الضرورات وتوخى المستحسن من المألوفات ما لا تجد مثله فى قصائد غيره ووجدت على الجملة وفى التفصيل لمعان الصقل

واكثر مبتكره لفظى يفاجئك بالمفردة التمثيلية أو بالعبارة التصويرية فيريك أبعد ما يرمى اليه فكرك من قصده ويعجبك ويبهرك

على أنه أقل من الشعر لأن اباء نفسه حمله مع الايام على التيار الذى دفعته فيه ابتغاء لرزقه وما كان أعيفه لمال لا يصيبه جزاء وفاقاً لحقه

وأصلح تسمية عامة لشعره فيما اراه هى تسميته بشعر الاتقان

السيد توفيق البكرى

شغف كلف بالغريب من ألفاظ اللغة . أذكر انه بعث
فى صباه الى أحد كبراء الشام بكتاب مجاملة فحار فى حل
رموزه وجاءنى وأنا يومئذ فى المدرسة يستعين على فهم ذلك
الكتاب فاستعنا كلانا بالمعجم

وما زالت هذه حاله الى الآن سواء فى نثره وفى شعره
على أن فى ذلك عجباً لان الشيخ ممن يشاورن ولكن يغلب
على الظن ان ثقاته الذين يرجع الى رأيهم من مثل العلامة
الكبير الشنقيطى قديما وسواه حديثاً انما هم جميعاً من المشايخ
الذين يمر بهم العصر بما فيه من معجزات الماء والنار والكهرباء
والنور وبما يفتن العقول ويأخذ بالالباب من كل جميل النظام
شائق الهندام بديع التجزؤ والالتئام كما تمر بالبدوى المقيم
فى الصحراء خيالات الجن وطمطمانيتهم فى اضغاث الاحلام
السيد مقل يحول الحول أو الحولان فيقصد قصيدة
ومن لطائفه انه رأى يوما عيون مى فى باريس ومى على ماهو

معلوم اسم اعرابية بنت اعرابية الى قحطان من الاسماء التي كان يذكرها شعراء العرب حقيقية أو عارية

أما نظمه فتين وله فيه نظرات الى زمانه لكنها أشبه شئ بنظرات موجهة من عهد عهيد (١) الى عهد جديد

ليس له فكر عام ثابت يتجه اليه ولو التفاتا في اكثر ما ينظمه كما يلتفت حافظ الى اجتماعياته وشوقى الى خلقياته فهو يقول اجابة لدعوات الطوارئ ويلبس لكل حالة لبوسها

على أننا انما أشرنا الى انتفاء الجامعة التي تجمع ولو بصلة ضعيفة بين أقسام شعره لاسباب منها أن السيد شاعر مباه بالشاعرية عن حق وكان في وسعه أن يحل فى الرتبة الاولى من شعراء زمانه لو أراد أن يكون من زمانه ولكنه انتهى الى عصر آخر فلم يبلغ ولن يبلغ هو ولا سواه أدباء ذلك العصر لانهم كانوا يأخذون اللغة رضاعا وفطاما وعادة يقظة ومنام وعشرة ومعاش . ومنها أن السيد طالع شعر الافرنج وعلم منه المهمة العليا التي ينتدب لها الشاعر لا بين أمته

(١) العهيد القديم العتيق

منفرددبل بين الامم جمعاء أحياناً . ومنها أن سماحته أدرى
بان الشعر فى بلد محتاج الى التربيـة والتأديب كمصر واذا لم
يكن الا طوائف اسطر ترسم مقسومة الى أشطر ففضل
الشاعر رب المقاصد والمعانى على الوزان الناظم مقطع عروض
الكلام ليس بالـكبير . وهو اذن بمـا يقتضيه من المنزلة
والتجلة غير جدير

ليسامحنا السيد فيما نذكره له فما هو يعلم الله قصدا حلال
له فى غير محله بل توسل اليه — وفى طاقته أن يجيب — بالرقى
ولو شق الصعود الى الاوج الذي مهـد له سبيله من زان
فطرته بذلك الذكاء البـاهر . والفكر الحاضر . ويسر له
الاطلاع على كـثير . وأعفاه من المعاذير

هذا وللسيد من المقاطيع الشعرية ما لا يدع فى معناه
مقالا لقائل . ولا مجالا لجائل . فلو جارى في كثيره قليـله
لاصبح قطباً من أقطاب الزمان . في الجمع بين البلاغة والبيان

أما وطريقته العـامة ما وصفناه فالـكلمة التى تغلب فى
وصف شعره انه فى القرن الرابع عشر المحمدى شعر البعثة الجاهلية

وصف شعر شكسبير

« تعريب محمد السباعى (١) »

شكسبير منحة الطبيعة وجائزة الدهر أداه إلينا الحظ في سكوت فتناولناه كأنما هو شيء صغير الشأن قليل الخطر وانه في الواقع النعمة لا تقدر والهبة لا يحد مقدارها ولا يحصر من أسباب عظمة شكسبير براعة تصويره للاشخاص

---

(١) « محمد السباعي »

هو أحد كتاب هذا العصر الممتازين بالبراعة فى الترجمة من الانكليزية الى العربية المعروفين بالتمكن في كلتا اللغتين على قلة المتمكنين فيهما معاً الا أنه فى ترجمته أميل الى التندر بالغريب وتدوين التراكيب الجزلة منه الى السلالة والرقة ولعاً باللغة العربية وشغفاً باحيائها فمن لا ينظر الى الكتابة بالعين التى ينظر بها اليها يرى فى كتابته أحياناً من التعقيد والمشادة غير ما يراه . أما كلمته هذه فهي مقتطفة من كتاب الابطال لكارليل الذى ترجمه الى اللغة العربية

والاشياء ولا أحسب أن انساناً يماثله فى تلك القوة المخترعة
الثاقبة الهادئة فاذا نظر الى شىء لم ينظر منه الى ذلك الوجه
أو ذاك بل الى صميم لبه وكأن ذلك المنظور يتحلل أمامه
فى ذوب من الضياء فتنكشف له دخائل تركيبه وبواطن بنائه
ونحن نسمى ذلك ابداعاً واختراعاً وخلقاً شعرياً وماهو لو
تأملت الا النظر الدقيق المستوعب للشئ المحيط بظاهره
وباطنه

ما روايات شكسبير الا ثمرة الطبيعة ولها جلال الطبيعة
وعمقها وما صناعته بصناعة انما هى وحى يتدفق به طبعه
عفواً ويهطل به خاطره سحاً دراكاً (١)

أن شكسبير ناى تتناوله الطبيعة فتترنم فيه بأشجى نغماتها
وتخرج منه أشهى أصواتها ولعل الامم التى ستجىء بعد
آلاف السنين ستجد فى شكسبير هذا معانى جديدة وبياناً
لالغاز حياتهم

كان لشكسبير حظه من الهموم والاحزان وقسطه من

---

(١) الدراك المتلاحق المتصل

القروح والاشجان وأغانيه تشف عما كابده من غصص الزمن . وتجرع من مرارة المحن . وقد أفال الرأى من زعم انه كان خلواً من الاسى صفواً من القذى فأنى لرجل أن يصور أمثال هامليت وكوريالاناس وما كبث (١) وغير هذه من القلوب المتألمة الا وقد عرف قلبه الكبير الالم

اذا خيرنا بين أن نترك شاكسبير أو بلاد الهند نقول سواء حكمنا الهند أو لم نحكمها فلا غنى لنا عن شاكسبير . فسيجى يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين فى نواحى الكرة وحينئذ يكون شاكسبير الملك الذى يضمنا جميعاً

---

(١) أسماء أشخاص بعض روايات شكسبير

الشعر

« لمصطفى الرافعى » (١)

أول الشعر اجتماع أسبابه . وانما يرجع فى ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان . فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير فى لسان غير مبين ولا فى سفير غير حكيم ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه والقلب روضته . ولكان غناؤه ما تسمعه من افواه المجيدين

---

(١) « مصطفى الرافعى »

شاعر من شعراء العصر المجيدين وكاتب من كتابه المتأدبين ويذهب فى شعره مذهب شعراء المعانى كالمتنبي وابن الرومى وغيرهما من الذين يحفلون بجمال المعنى قبل جمال الاسلوب فان صح له الاول لا يبالي بالثاني على أن له فى كثير من الاحيان خصوصاً فى النسيب ما يعد فى طبقة الابداع حسن تصور وبراعة نظم ورقة وأسلوب

من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحة .
وتضم كل جانحة وبجنى من كل شيء حتى لتحسب الشعراء
من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس

وكأنما هو بقية من منطق الانسان اختبأت فى زاوية
من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات
القلب وأخرجتها بعد ذلك ألحاناً بغير ايقاع ألا تراها ساعة
النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تبحث بنور العقل
عن شيء غاب عنها فى سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان
أحسن الشعر ما تتغنى به قبل عمله وهى طريقة تفنن فيها
الشعراء حتى لكان الحطيئة يعوى فى أثر القوافي عواء الفصيل
فى أثر أمه

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب
فى التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع فى
نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل
قطعة منه فى مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن

يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لا فرق فى ذلك بين أعجمى وعربى . ومن اجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغنى فى جذب القلوب سواء . وفى سحر النفوس اكفاء . الا أن هذا يوحى الى القلب وذاك ينطق عنه . وأحدهما يفيض عليه والثانى يأخذ منه . والويل لكليهما اذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك

والشعر موجود فى كل نفس من ذكر وانثى . فانك لتسمع الفتاة فى خدرها والمرأة فى كسر بيتها . والرجل وقد جلس فى قومه . والصبي بين أخوته . يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد فى اثناء كلامهم من عبق الشعر مالو نسمته لفغمك (١) . وحسبك أن تكسر وسادك تتحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفى فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل أعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن فى سماء البيان . وطلعن فى أفق البلاغة ولا يزال الناس

---

(١) فغمه الطيب سد خياشيمه

الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعليـة وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسى ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى

ولو كان الشعر هـذه الالفاظ الموزونة المقفاة لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولـكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان . واما ما يعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للـكلام من استقامـة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الـكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام

ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم العصر . وامام الافتاء فى مصر (١) « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكاناً تشرف منه على الـكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه فى الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة »

ولم يكن لاوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها

---

(١) يريد به المرحوم الشيخ محمد عبده

الرحل فى الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربى

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرنى واحدا كفيته

واذا قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم ابن عبد مناف .

وهناك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء وأضاء تلك السماء التى ما طاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهى والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أوابده وأجاد الاستعارة والتشبيه ولقد بلغ منه أنه كان يتعنت على كل شاعر بشعره

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب (١) كما يكبو الجواد لم و بعضهم كان كلامه وحى

---

(١) اكب انصرع

الملاحظ . وفريق كان مثل سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها . ولقد جدوا فى ذلك حتى أن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه

ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء أن تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم حتى لا يعرفون الابها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم ومن قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الاعراس . وأيام كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع الى آذانهم أو اعتقدوه فى أنفسهم الا نظموه فى سمط من الشعر وادخروه فى سفط من البيان حتى انك لترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم . وكان القائل

منهم يستمد عفو هاجسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم فزهير أشعرهم اذ رغب • والنابغة اذا رهب • والأعشى اذا طرب • وعنترة اذا كلب • وجرير اذا غضب وهلم جرا

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه

فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة بأهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عدى في صفات المطية وطفيل في الخيل والشماخ في الحمير ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما وصفه لها انى لاحسب أن أحد أبويه كان حماراً .... وحسبك من ذى الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين انه كان يقول « اذا قلت كأن ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لسانى » ولقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته • وأسكرهم أبو نواس بخمرياته ورقت قلوبهم على زهريات أبى العتاهية وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام وابتهجت أنفسهم بمدائح البحترى وروضيات

الصنوبرى ولطائف كشاجم

فمن رجع بصره في ذلك وسلك فى الشعر ببصيرة المعرى وكانت له أداة ابن الرومى وفيه غزل ابن أبي ربيعة وصبابة ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة الجهم وفخر أبى فراس وحنين ابن زيدون أو نفة الرضى وخطرات ابن هاني وفى نفسه من فكاهة أبى دلامه ولعينيه بصر ابن خفاجة بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب أبى الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره وصناجة [١] عصره

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفا لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال مما لا يعنى غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهى ليست من الاعجاز فى شىء ولا فضل للشاعر فيها الا أنه تنبه لها . ومن شد يده على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه فى كل حين

---

(١) الصناجة طبل معروف

وليس بشاعر من اذا أنشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك وان عينك تنظر في شغافه . فاذا تغزل أضحكك ان شاء وأبكاك ان شاء . واذا تحمس فزعت لمساقط رأسك واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً واذا عتب عليك جعل الذنب لك ألزم من ظلك . واذا نثل كنانته رأيت من يرميه صريعاً لا أثر فيه لقذيفة ولا مدية ولكنها كلمة فتحت عليها عينه وأولجت الى قلبه من أذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر واذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه واذا رثى خفت على شعره ان يجرى دموعا واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعا واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع

فيه فكان كالأعمى يتناول الاشياء ليقرها فى مواضعها وربما
وضع الشىء الواحد فى موضعين أو مواضع وهو لا يدرى
وأبصرنا فيهم كذلك من يجىء باللفظ المونق والوشى
النضير فاذا نثرت أوراقه لم تجد فيها الا ثمرات فجة[1]

ورأينا فى المطبوعين من أثقل شعره بأنواع من
المعانى فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت
عنها العيون بما أرادت ان تلفتها به على ان أحسن الشعر ما
كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها

وهو عندى أربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير
وبيت يندر وبيت يجن به جنونا وما عدا ذلك فكالشجرة
التى نفض ثمرها . وجنى زهرها لا يرغب فيها الا محتطب

أما مذاهبه التى أباهوها من الغزل والنسيب والمدح
والهجاء والوصف والرثاء وغيرها فهى شعوب منه وما انتهى
المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق
الا الى طريق ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ! وما دامت

---

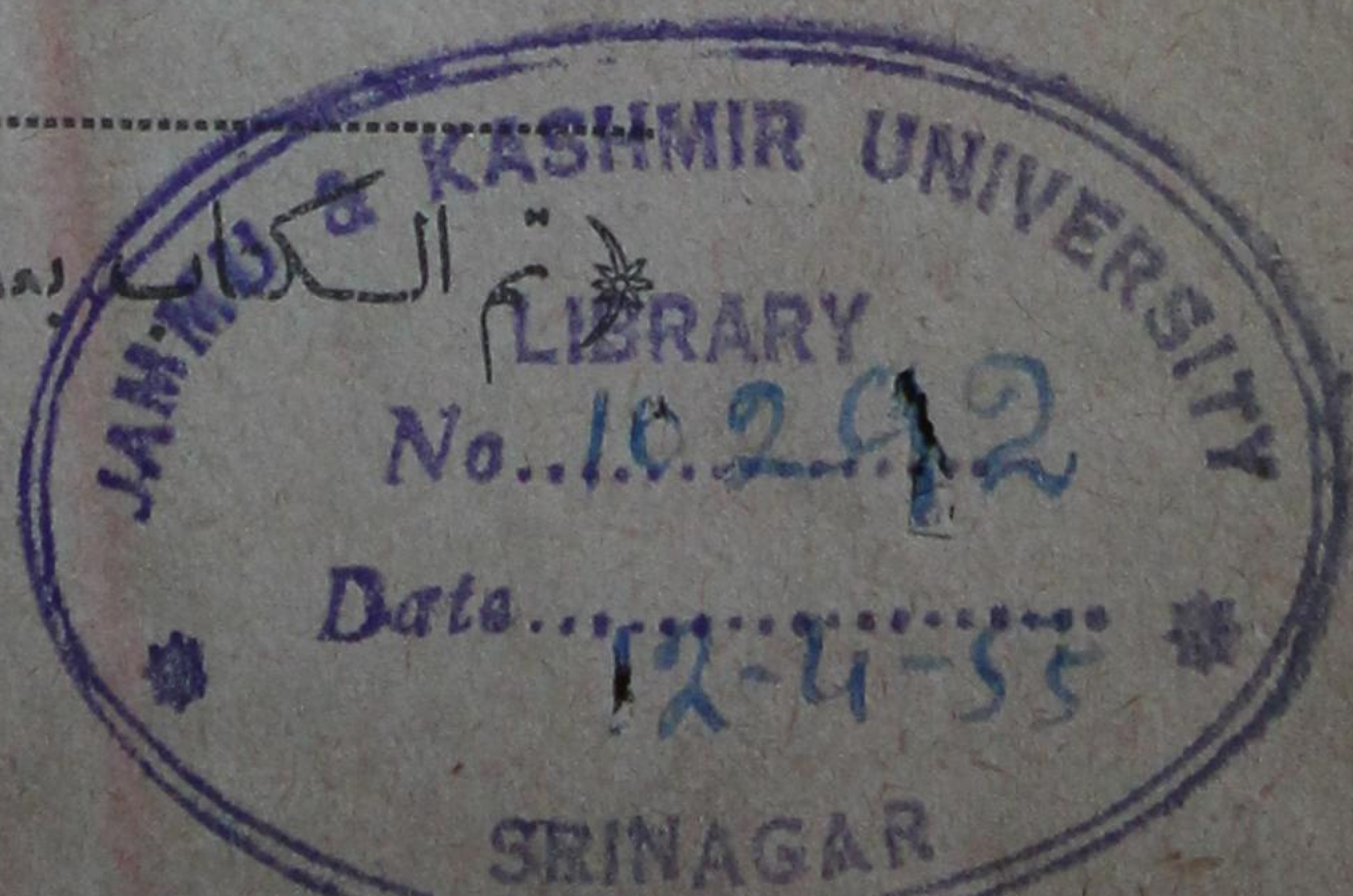
(١) الفج من الفواكه الذى لم ينضج

الاعمار تتقلب بالناس فالشعر اطوار . آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين أفنان الوصف الى أزهار الغزل ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الأمل . وطورا تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف . وتفرق بحده الصفوف وحيناً تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار وجمله بمسحة من الوقار . وهو فى كل ذلك يروى عن الايام وتروى عنه وما أكثر فنون الشعر اذ رويتها عن أفانين الايام

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شىء منه لا ينقص من معناه او كان فى نثره أكمل منه منظوماً فذلك الهذر بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة فى قالب واحد من الاجادة

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه



اعلان

اطلبو من مكتبنا جميع الاصناف الاتية

مليم	قرش	عدد	الصنف
	٢٠	١	كتاب قا[illegible]اج مجلد جزءآن
	٠٥	١	تحرير المرأة
	٠٥	١	المرأة الجديدة
	٠٥	١	الجمال والزواج
	١٠	١	الاغانى العصرية لـكامل افندي الخلعى وبه نوت للدق على البيانو وهو احسن كتاب عمل فى هذا الجليل ومؤلفه من اشهر الملحنين
	٠٢	١	ملكة الحب
	٠٥	١	ماوراء الخيال لخليل جبران
	٠٢	١	كوكب الشعوب والامم لخليل جبران
	٠٨	١	الانشا العصرى
	٠٥	١	رسائل الغرام
٥	٠	١	فانتوماس رواية بوليسيه عصريه
٥	٠	١	البوليس السرى كودى
٥	٠	١	اللص الشريف الجدد